رواية

عندما حَلَّ الربيعُ فؤادي

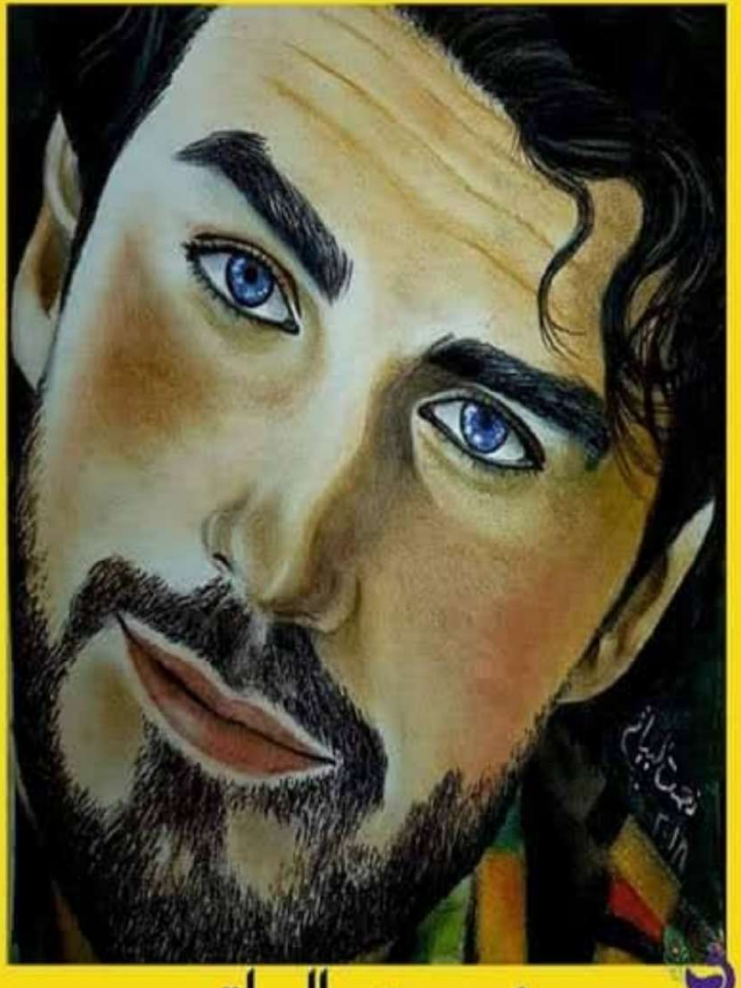

نعمت البياتي

رواية

عندما حلّ الربيعُ فؤادي
رواية
نعمت البياتي

عندما حلّ الربيع فؤادي

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما حلّ الربيع فؤادي

الجزء الثاني

الإهداء

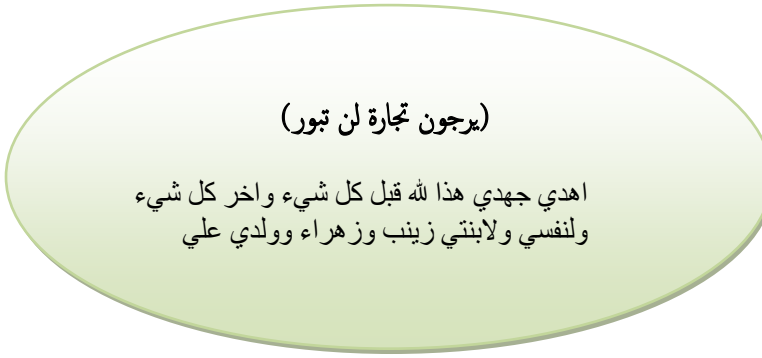

Ne’amat Mahdi Selbi

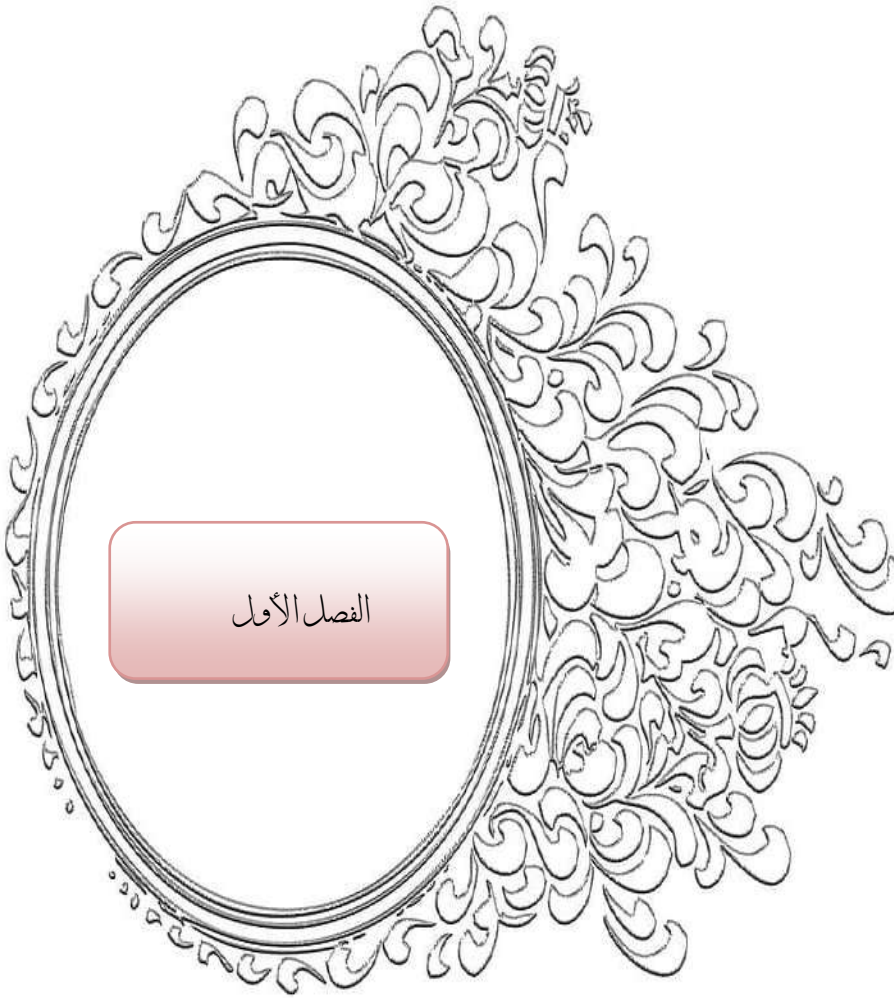
الفصل الأول

وعادت (فاتن) إلى (فؤاد) وظلاّ زوجين سعيدين لسنوات مع طفليهما (فارس) و (فرح)، وهما يؤازران بعضهما في الجامعة، ويدرّسان سويةً طلابهما ويخرجان معاً الى الدوام ويعودان سويةً الى المنزل.

أمّا (أمير) فقد أدى فتح فرع جديد في شركته مع (فاتن) إلى سفره إليها، حيث أصبح مديراً لها هناك، و (تعمد) الاستقرار بعيداً عن (فاتن) و (فؤاد)، كي لا يتألم أو يصاب بالاكتئاب من جديد، لأنه دخل في نوبةِ اكتئاب شديده بعد رجوع (فاتن) إلى (فؤاد) بمساعدته الشخصية آخر مرّة...

كبرتْ (فرح) وأصبحت في الجامعه، بينما كان (فارس) على وشك دخولها، حينما جاء (فؤاد) إلى المنزل ذات يوم، يحمل أكياس بقالةٍ بين ذراعيه، وبينما كان يدلف إلى المطبخ، و (فاتن) تتلقف الاكياس من بين يديه لتساعد على وضعها في مكانها الصحيح أو تفريغ محتوياتها، إذ وجدت فجأةً أحمر شفاه فوق أحد أكياس البقالة... ذهلت (فاتن) ونظرت إلى (فؤاد) بآستنكار...

- ماهذا يا أبا فرح! نحن لم نعد صغاراً! حقاً!

إلتفت فؤاد إلى (فاتن) بدهشة ونظر حيث أشارت فبان الأستنكار في عينيه ونظراته...

- لا لا، صدقيني... لا يمكن أن تكون هذه (المعجبة)

قد طبعت قبلةً على كيس البقالة! هل تصورّ لك شكوكك هذا يا (فاتن)؟ هل فقدتِ عقلك!

- أنا! فقدتُ عقلي! حقاً! ربما... دعني أرى قميصك الآن! هيا آخلع سترتك... هيا، فوراً..

وهرعت (فاتن) نحو زوجها تبعد سترته عن جسده بينما (فؤاد) يبعدها بلطف آستنكاراً وتعجباً، لكنها قامت بما ارادت وأصبح مجرداً من سترته...

- دعني أرى قميصك!

- ماذا! هل أخلع قميصي هنا الآن!؟ هنا!

- كلا! فقط، سأراه!

وأخذت (فاتن) تتفحص ياقة قميص فؤاد وأطرافه بدقة وهي تقرّب أنفها من القميص كل حين، بينما يبتسم (فؤاد) ساخراً حتى صاح أخيراً:

- هل انتهيتِ؟

- نعم! لاشيء هناك! إذاً من أين جاء هذا اللون الأحمر! إنه أحمر شفاهٍ على الكيس! ألا تراه بنفسك!؟

فاتن! ربما طبعت امرأة البقالة قبلةً على الكيس قبل تعبئته، ما أدراني! انا لا أعلم صدقيني... إنها صدفةٌ بحته وأنا أقسم لك... كفيَّ عن الشك...

-
-

وأسقط ما في يد (فاتن) فتظاهرت أنها مذعنه، وأنها قد صدّقت قصة (فؤاد) الوهمية، فقالت معتذرة..

- ربما! أنت محق! أنا اعتذر منك يا فؤاد...

- حبيبتي! هكذا! نعم... إرجعي الى (فاتن) الرائعة!

- أنا آسفه يا فؤاد... تعلم مقدار حبي لك... من حَقيّ أنْ أفعل ذلك، ولو كنت مكاني لفعلت الشيء ذاته...

نظر (فؤاد) بحبٍّ إلى (فاتن) وبسرعة ضمّها إليه فوضعت رأسها فوق صدره وهي تحاول في سرها آكتشاف أيّ عطر غريب أو خيط ما يمكنها التمسك به لأسناد شكّها...

فجأةً رنّ جهازه الجوال، فتلقف سترته وتحدث بينما كانت (فاتن) قد ابتعدت بسرعة لتكمل تفريغ محتوى الأكياس، وعيناها لاتزالان فوق أثر حمرة الشفاه على ذلك الكيس...

- نعم! أها، امرٌ طارئ، حسنٌ، حسنٌ...

أقفل الهاتف ونظر إلى (فاتن) بقلق... هتف بسرعةٍ

- عليّ الذهاب الآن، فصديق ما بحاجةٍ إليّ...

- مَنْ هو يا فؤاد وماالذي يجري!

هتفت (فاتن) بدهشةٍ وآستغراب بينما أسرع فؤاد بالخروج من المنزل وركوب سيارته مبتعداً عن منزل (فاتن) الذي (اشتراه امير لها في المرّة الأخيرة عندما خرجت مطلقةً من منزل فؤاد) ...

تلقفت (فاتن) الكيس الفارغ من بقالته، وأخذت تتفحص أحمر الشفاه بأطراف اناملها، شعرت بملمسه الرطب، وبأنه حديث عهد، ولم تقم صاحبته بطبعه منذ وقت طويل على الكيس، فذرعتْ (فاتن) في سرها، وشعرت بالألم يعتصر قلبها، وآنقباض شديد قد أصابها عندما قررت فجأة عدم تضييع الوقت والذهاب خلف سيارة (فؤاد) لتتبعه..

سارت السيارة بحذر خلف سيارة فؤاد بقيادة (فاتن)، حيث وجدته ينعطف بين المنازل بحدائقها الغنّاء، حتى وصل منزلاً محدداً حيث ركن سيارته وارتجل...

ركنت (فاتن) سيارتها على بعد مسافةٍ من سياره (فؤاد) خوفاً من آكتشافه لما عملته دون علمه، إذ أنّها أخذت تستغفر الله في سرها والقلق قد أخذ منها مأخذاً...

((يجبُ عليّ مراقبته، وليس حراماً عليّ تتبّعه، إنني أحمي عائلتي وأحاول اكتشاف أية آمرأة لعوبٍ قد آستدرجته هذه المرة!)) ... هتفت مبررة في سرها...

سارت تتبع خطواته من بعيد، لمّا دلف الى منزلٍ فتحت بابه الزجاجي آمرأةٌ في الاربعينيات من عمرها... كانت (فاتن) تراقب من بعيد مستترة خلف شجيرة في حديقة منزل تلك المرأة، لمّا دلف (فؤاد) المنزل وأغلق الباب...

أخذت (فاتن) تلتف حول المنزل خافضةً رأسها، محاولةً الوصول الى (فؤاد) بأيه طريقة... نظرت عبر النوافذ الجانبية، فلم تجد أحداً... نظرت الى أعلى، كانت هناك نافذه غرفه وكانت شجرة ضخمة أمامها، قررت (فاتن) تسلقها والقضاء على خوفها من المرتفعات كي ترى (فؤاد) بأي ثمن وتفهم ماذا يفعل هناك...

كان خوفها من خسارته وتملّك آمرأة أخرى له، أقوى وأعظم من أية مخاوفٍ أخرى لديها،] وبالفعل فقد تسلقت الشجرة حتى وصلت الى مستوى أستطيع معه مشاهدة النافذة، ومن حسن حظي فقد كانت الستارة مرفوعة، والرؤية خلفها واضحةً، حيث شاهدتُ رجلاً يدخل الغرفة تتبعه آمرأة] ... كان الرجل قد ولّى النافذة ظهره، عندما أحاطت المرأة رقبته بذراعيها، ولم أتمكن من الرؤية جيداً... ((هل هو يقبلّها؟! ماذا يفعل!؟ رباه!)) حاولتُ الاقتراب أكثر لكنني خشيتُ السقوط من فوق الجذع، أو أن ينكسر بي فأقع وأكسر ظهري... تمنيتُ لو آلتفت الرجل الذي خمنت على الغالب أنه (فؤاد) كي أرى ماذا يفعل، لكنني في جميع الأحوال قررتُ أن لا أترك (فؤاداً) يفلت مني بسهولة بعدما رأيت... بشكل لاارادي وبدون وعي مني، حملت قطعة نقدية ورميت بها على النافذة ثم اختبأت بعد أن هبطت من الشجرة... فُتحتْ النافذة وأطلّت المرأة نفسها منها، لكنني لم أر فؤاداً...

شعرت بالحنق... بقيت أنتظر تحت الشجرة عَلّني أعثرُ على شيء، لكن، لاشيء يذكر...

مرت ربعُ ساعة قبل أن يخرج فؤاد من المنزل ويعود الى سيارته، فقمت بالأختباء خلف الشجيرة مرةً أخرى ودعوت الله أن لا ينتبه لوجود سيارتي على بعد مسافةٍ من سيارته...

تبعته بعد مدّة كي لا يشعر بي... كان يتجه الى منزلنا مرةً أخرى فضربتُ المقود بغضب وقررتُ أنْ أغيّر وجهتي الى أقرب مركز تسوق كي اعود مع عدة أغراض أقول له معها، أنيّ اضطررتُ للخروج الى التبضّع لأجلها...

لقد بدأ شيطان (الشك) يستوطن قلبي، ويُخرج كل شيءٍ آخر منه، قررتُ أن أكتشف ما يفعله (فؤاد) مهما كان، ومع وجود ذلك الشيطان الصغير، إلا أنني قد قررت أيضاً أن لا أظلم (فؤاداً) حتى أتاكد تماماً من الموضوع...

عندما عدتُ الى المنزل، كانت هناك موسيقى تعزف ألحان أم كلثوم وهي تنبعث من المطبخ، فدلفت مسرعةً وقد خلعت معطفي وحجابي وعلقتهما على الحائط خلف باب المنزل الرئيسي حيث توجد أداه تعليق للمعاطف والمظلات في الشتاء...

لم يكن الجو إلاّ ربيعاً جميلاً إذ ذاك ولذا، فقد كانت الزهور الجميلة في حديقتنا أمام المنزل وحوله، قد آزدانت بحلّة الربيع ومنظرها الجميل يزيد رونق المطبخ المطلّ بنوافذه الزجاجية الواسعة وبابه الزجاجية المطلة على الحديقة الجانبية...

ولطالما كنتُ أستمتع بالجلوس في مطبخي بسبب هذا المنظر الرائع البديع، وأنا أقوم بالطبخ...

وجدتُ (فؤاداً) في المطبخ يتذوق طعاماً يطبخه وهو يرقص على أنغام (ام كلثوم) التي يعشقها منذ كان مراهقا- متأثراً بخالتي وأمي أيام كان يزور العراق في طفولته ومراهقته الاولى- وما أن رآني حتى بان الفرح على محياه وآبتسم بسعادة، فشعرتُ بندمٍ في سريرتي لأني شكّكتُ به ولو للحظة، وتقدم نحوي يراقصني وهو يضع بعض الطعام الذي طبخه في فمي بالملعقه هاتفاً...

- أنظري ماذا طبخ لكِ فؤادك، ياغاليتي!

كانت ام كلثوم تردد وهو يراقصني...

- إفرح ياقلبي... والحنين والروح ويه الحبيب، إفرح ياقلبي...

- أووه، فؤاد! دعني أذهب!

قلتُ بدلال وأنا أتمايل بين ذراعيه عندما تساءل وهو يطبع قبلةً على عنقي...

- أين كنتِ حبيبتي! لقد تأخرتِ ولم أعلم أنكِ خارجه!

- آه! ذهبت لأجلب هذه الأغراض من المتجر...

- حبيبتي، لو أنكِ اتصلتِ بي لجلبتها معي في طريقي!

قال وهو يحتضنني فأفلتت منه وتظاهرتُ بفحص قدر الطعام وأنا أتذوقه وأقول بينما ضمني هو بذراعيه من الخلف وهمس في أذني...

- حبيبتي! ستفرحين عندما تعرفين أنني سأحظى بترقيةٍ في الجامعه، عن قريب إن شاء الله... لقد حصلتُ على معلومات مؤكدة قبل قليل وهنالك من توسط لي لتسهيل الأمر... صديق قديم...

- صديقٌ قديم...

تمتمت والغضب يعتلي ملامح وجهي، ولحسن حظي، لم يستطع (فؤاد) رؤية وجهي لأنه كان خلفي... هتفت:

- يالك من طباخ ماهر! سلمت يدك يا حبيبي...

- طبعاً! أو عندك شكٌ في حبيبك (فؤاد)!

ولفني من خصري نحوه فقمت بوضع ملعقة الطعام من القدر في فمه، وأنا احاول الأفلات من قبضته...

- حبيبي... أنا جائعه... هيا نتناول الطعام سوياً...

فروحة وفارس على وشك القدوم من الدوام... هلمّ بنا...

- فاتنتي! ولذلك أنا أقول لك...

قال (فؤاد) متداركاً وهو يبعد الملعقة عن فمه ويتذوق مابقي عالقاً من الطعام على إصبعي...

- حبيبتي...

نظر إليّ بعينيه الزرقاويتين اللتين لا أستطيع المقاومة أمام سحرهما، فنسيتُ كل شكوكي وآعتبرتها وهماً عقيماً...

- ماذا هنالك يا حبيبي!

- هل سنظل واقفين هنا، أم تصعدين معي الى غرفتنا قبل مجيء فرح وفارس؟

همس وهو يبتسم ويقبل يدي، فنظرتُ إليه بعتاب، وسرتُ خلفه كأنسان آلي مسيّر... بينما ام كلثوم تكمل:

- يا فرحة القلب الحزين...

نظرتُ إلى قميصه بينما كان يغتسل في الحمام الداخلي لغرفتنا، وأخذتُ أتفحّص كل جزء فيه فَلم أجد ما يثبت شكوكي، فآستغفرت الله في سرّي وآستعذتُ من الشيطان وقمتُ لأرتدي ثيابي وقد قررتُ نبذ كل فكرةٍ عن متابعة (فؤاد) أو الشك فيه وهتفتُ في نفسي... ((لربما تلك الصديقة هي من سهّلت له أمرَ علاوته، وقد أرسلت في طلبه لتبلغه الخبر بنفسها، ولربما يكون هو فعلاً من آحتضنته في الغرفة في الطابق العلوي، ولكن، بدون قصد آخر، أو... ماذا أقول أنا ... هل أنا بلهاء!))

هتفت بغضبٍ فجأه... نظرتُ الى المرآة وأنا أرفع شعري فوق قميصي الذي أخذت أزرّره بأناملي، وتأملتُ بشرتي خوفاً من اقتحام التجاعيد فوق جغرافيتها، وهو آحتلال أراضيها وخصوصاً أسفل عينيّ ورقبتي... كان لابدّ لي أن أبقى جميلة في ناظري (فؤاد) بوجود هذا الكم الهائل من الصديقات والمعجبات... ((مهمةٌ صعبه، ولكنْ، لابدّ منها يافاتن... سأذهب للصالون لعمل جلسة تقشير وعناية للبشرة... نعم! سأفعل...)) ...

وبينما أنا أرتدي بنطالي، إذا بي وأنا أنحني نحو الأرض، لأضع ساقي اليسرى في شق البنطال الايسر، أجد ورقةً فوق الأرض... رفعتها وقد آنتابني الفضول، فوجدتها ورقةً مطوية... فتحتها لأشمّ عطراً نسائياً غالباً يفوح منها...

((سأنتظرك كل مرّةٍ في نفس الموعد... ستظلّ حبيبي إلى الأبد... مهما حصل، وبأيّ ثمن، لن أتخلى عنك))

فجأةً ظهر فؤاد من خلف الباب الزجاجي للحمام المتصل بغرفتنا، وقد وضع منشفةً فوق رأسه وأخرى حول جذعه، وهتف بي وهو يبتسم بسعادة...

- ما بها حبيبتي! أكيدُ أنك جائعة للغاية الآن...

سأذهب قبلك لأحضر المائدة:

- كلا، كلا! لقد ارتديت ثيابي... أنا سأذهب بسرعه أكبر... خذ راحتك...

قلتُ ذلك وأنا اطوي الرسالة بين أناملي بينما هو يقبلّ خصلات شعري أمام المرآة ويهمس بسعادة...

- سوف أشتري لك قلادة جديدة تليق بهذا العنق الجميل...

سنخرج الليلة للعشاء سويةً، ما رأيك...

قال ذلك وهو يحيط خاصرتي بذراعيه فتصنعت الذهول، وأنا أقول بدلال وبصوت حاولتُ قدر الأمكان أن يكون ممتناً وصادقاً وحنوناً...

- حبيبي فؤاد، لا تدللني كثيراً! أنت حنون جداً..

- حبيبتي... أنت فاتنتي الغالية... كنوز الدنيا لا تكفيك... ومهما فعلتُ لن أُفيك حقك، يا أم فروحة!

شعرت بألم في صدري... أردتُ أن أبكي... ماهذا التناقض... ((هل عشت كذبةً حمقاء... هل كان يخونني طوال تلك السنوات وقد عاهدني على عدم فعل ذلك أبداً وعدم الخروج مع أية صديقةٍ سابقة... ما الذي يجري... ولماذا لا يستطيع وبكل بساطة قطع علاقاته بهنّ! هل أنا قد قصّرت معه في شيء... يالهي! إنه يمثّل عليّ أو يحاول تعويض خيانته لي... لا أعرف ماذا أقول له الآن! ماذا أفعل يالهي)) ...

- حبيبي! دعني أذهب الآن، سوف يأتي طفلانا الحبيبان، هيا، إرتد ثيابك وآنزل بعدي.. هيا بنا يا حبيبي... عن إذنك...

قلت ذلك وأنا أفلت من بين ذراعيه... هبطت السلم بعد أن أغلقت باب غرفتنا خلفي، والدموع تنهمر من عينيّ دونما إرادة مني...

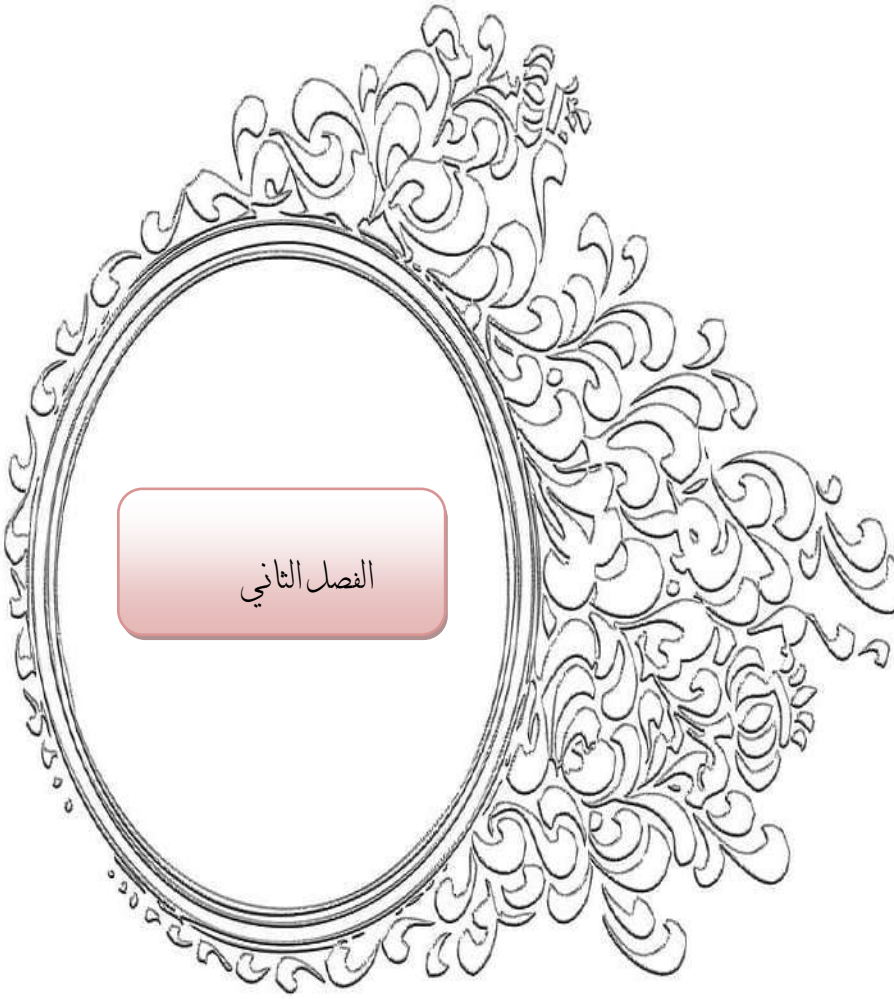
الفصل الثاني

مرت عدّة أيام، تصنعتُ فيها أنّ كل شيء على مايرام، وأنّه لا يوجد شيء يثير الريبة مطلقاً، وكنا نذهب إلى الجامعة سوياً كالمعتاد ونعود معاً...لقد اشترى لي عقداً غالياً وألبسني إياه بنفسه... كم كنتُ لأكون سعيدةً به فعلاً لو لا شعوري القاتل أنه يقابل امرأةً أخرى كلما اقترب مني أو ضمني إليه!!

لم أستطع ابداً أن أصارحه بشيء... حبّي له فاق رغبتي في الإفصاح عن تلك الورقة والاستفسار منه عن كل ما فيها...

لم أرَ بادرةً تثير الشك تجاهه في تلك الأيام القلائل، ولكنني وفي نهاية الأسبوع، لاحظتُ تغيرّ تصرفاته على حين غفلةٍ، عندما كنا نتناول طعام الغداء معاً، أنا وهو وفرح وفارس...إذ رنّ هاتفه النقال، فشعرتُ بآرتباكه وهو ينظر الاسم رغم أنّه حاول قدر الإمكان إخفاء ذلك، وأخذ يهتف بسرعة ناهضاً...

- إتصال مهم، سأخرج لأسمع جيداً في الخارج...

- كما تريد حبيبي...

قلتُ له بشكل طبيعي، بينما آتجه هو نحو الحديقة وآختفى عن ناظري... جاء بعد فترة ليعود إلى المائدة ويكمل طعامه دونما أي كلام... لما سألته عن المتصل، تردد لثانيتين بينما كررت سؤالي فقال...

- نعم!... إنه صديق لاتعرفينه، يريد مقابلتي لمسألةٍ هامه، وهو يقول إنه في ورطه ويجب أن أساعده...

- نعم... أها... حسنٌ... إذهب له... يجب أن تساعده!

ركز (فؤاد) نظراته عليّ عندما نطقت بتلك الكلمات وهو يرتشف الحساء الذي صنعته، فبادلته نظراتٍ واثقة...

- ماذا بك! أليس بحاجتك! إذهب فوراً إليه!

- حقاً!! أهكذا رأيك...

- طبعاً ياحبيبي! أكيد! هكذا هم الأصدقاء، وقت الضيق، أوليس كذلك... أكمل طعامك وأذهب له!

- نعم، نعم! أنتِ على حق! حبيبتي... سلمّك الله لي...

- وسلمّك لي ياحبيبي الغالي... هل أعجبك طعامي..

- رائع وأكثر، كالمعتاد حبيبتي... حسنٌ لقد شبعت... سأذهب الآن.. هل تحتاجين شيئاً عندما أعود لأجلبه معي في طريقي؟!!

نظرت إليه لثانيتين محاولةً إيجاد نظرة ندمٍ منه أو تراجع قبل أن أهتف قائلة...

- سلامتك! لا أريدُ شيئاً...

تركته يبدل ثيابه ويخرج كما يريد وقد طبع قبلةً سريعة على وجنتي وهمس بصوته الحنون: -

- سأعود سريعاً فاتنتي الغالية...

لم يكن يعلم وهو يركب سيارته ويدير المفتاح في قفل السيارة ويدوس بقدمه (دوّاسة ضاغطة البنزين)، أنني كنتُ قد تتبعتُ مكالمته ووضعتُ جهاز تنصت، حيث خرج في الحديقة (في قميصه دون علمه) ... ولقد آستمعت لكل محادثته في الهاتف رغم أني لم أعلم من التي كان يحدثها... لم أعرف أسمها أو من تكون؟ ...

كان كلّ ما استمعت له هو كلامه معها وتطمينه لها بأنّه سيذهبُ إليها سريعاً وأن لا تخاف أبداً وأنْ لا تقلق، لمّا كنتُ أتناول الطعام والسماعة في أذنيّ دون علم (ولديّ)، كانت الدموع تتسابق للظهور من مقلتي عيني، فصوته، نفس الصوت الذي يهمس به في أذنيّ، وهو يتكلم بصوت خفيض مطمئناً لها... وكلماته، كأنها بل هي ذاتها نفس الكلماتِ التي يقولها لي عندما أقلق أو أخاف... شعرتُ أني أكبر حمقاء (فعلاً) تلك المرّه... نفضتُ يديّ من الطعام وأعلنت فجأةً أنّ عليّ شراء شيء ما كنتُ قد أجّلته، فدهشت (فرح) وهي تنظر إليّ...

شعرتْ (فرح) بضيق صدري، لكنني حاولت قدر الأمكان مواراة مشاعري أمامها... هتفت بها...

- نعم، حبيبتي! يجبُ عليّ ذلك... الآن والاّ فلا...

ذهبتُ خلف (فؤاد) بسيارتي وبقيت أتتبّع مسار سيارته بشكلٍ لا يُلفتُ نظره...

كنتُ لا ازال أستمع لكلماته وهو يحدثها في السيارة بصوته الدافئ الحنون ذاته... دموعي كانت تنهمر دونما إرادة مني وأنا أتخيله في أحضان امرأةٍ أخرى، يكلمّها كما يكلمني ويغازلها كما يغازلني؟!!....

لا أستطيع وصف شعوري وكيف أنّ حريقاً هائلاً قد نشبَ في قلبي... كان قلبي يتقطع من فرط الألم ولكنني لم أكن أستطيع الكلام!!

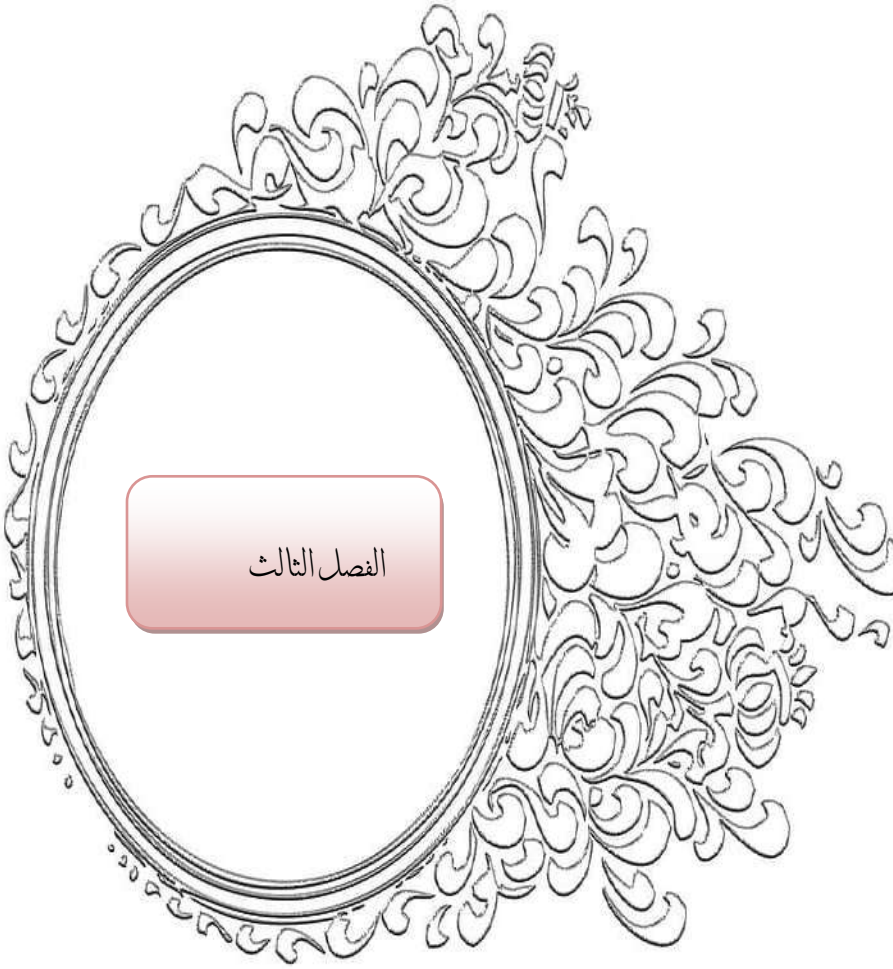
الفصل الثالث

تتبعت (فاتن) (فؤادها)، حتى وجدته يدخل نفس المنزل وتخرج من خلف الباب الزجاجي (نفس) المرأة الاربعينية ولكنها هذه المرّة احتضنته وتبادلا القبلات على الوجنتين عند الباب، فصرخت (فاتن) بألم وعضت على أناملها كي تكتم صراخها قدر الإمكان وقد غصّت بدموعها... لم ترتجل من سيارتها هذه المرّة بل بقيت تذرف الدموع بينما هي تستمع لما يقوله (فؤاد) لتلك المرأة وما تقوله هي له...

لقد جرى الحوار التالي بينهما بعد آحتضان (فؤاد) لتلك المرأة عند أعتاب بابها...

- هل شعرتْ زوجتك بشيء...

- ماذا! فاتن! أبداً... انها تثق بي...

- حبيبي... أنت تعلم أنني لا اريد سوى رؤيتك، ولا يهمني سوى ذلك، ولا اريد زواجاً ولا أطفالاً، ولا أيّ شيء سوى أن أحظى بلحظات منك أكون فيها أسعد امرأةٍ في الكون... لقد حصلتَ على علاوتك، اليس كذلك...

- نعم، حبيبتي...

- آه! لم يكن الأمر صعباً عليّ... أنتَ تعلم كيف يتمنى رئيس قسمك (رضاي)... لقد حدثته عنك ومدحتك أمامه ونبهته إلى عدم حصولك على علاوةٍ او ترقيه منذ زمن...

- أنا اعرف ذلك يا صديقتي الغالية...

- ولذلك، نحن سنظل أصدقاء دوماً!

أنتَ لن تتخلى عنيّ أبداً يا فؤاد! لن تتركني لأجل (فاتن) مجدداً! اليس كذلك؟

- ارجوك، (جوليا)... لا تتحدثي عن (فاتن) بأيّ سوء، أنتِ تعرفين، لو أنّ الاختيار وقع ما بينكما، فمن التي سأختار!! إمها ام طفليّ وأبنة خالتي وزوجتي!!

- حسنٌ! أنا لا أضع نفسي في مقارنة معها... لأنني أعلم بخسارتي حينئذٍ... لكنْ... لقد تَركتني لسنوات طويلة... ولم أستطع ان أنساك يا حبيبي! لا أريد منك سوى نظره... سوى أن تزورني ولو بالشهر مرةً واحدة! فقط... أريدك قربي... تعال هنا يا عزيزي ولا تبتعد عني... تعال...

- عزيزتي (جوليا)، أنتِ صديقةٌ غالية... قالها (فؤاد) بصوته الحنون الذي قطع نياط قلب (فاتن) التي ما إن سمعت نبرته الأخيرة حتى رمت السماعة بعيداً عن أذنيها... وأنهارت على مقود السيارة في موجة بكاءٍ عارمه...

وبينما كانت (فاتن) تبكي دون شعور، إذا بها ترى فؤاداً يخرج من دار تلك المرأة بسرعه، تتبعه المرأة ذاتها وهي متأبطة ذراعه لتركب إلى جواره (في سيارته) وينطلق بها بعيداً، فأدارت (فاتن) مفتاح سيارتها، وهي تمسح دموعها بسرعه كي تركز على الطريق، وأخذت تسير بسيارتها خلفه بحذر كي لا ينتبه أنها تتبعه، عندما مضتْ فترة زمنيه ووصلا جسراً معلقاً، كانت السيارات تتدافع فيه، لمّا لاحظت (فاتن)، تدافع سيارةٍ قربها، تتبع نفس طريق (فؤاد) الذي كان يسير فيه...

ظنت (فاتن) أوّل وهلةٍ أنها تتوهم ذلك، ولكنّ الأمر تأكد لها، لمّا وضعت سماعات الأذن تحت حجابها مرّةً أخرى، وهي ترى تلك السيارة تتقدمها وتسير بشكل متعرج وواضح للعيان، ومقصودٍ للغاية، كي يعلم (فؤاد) أنها تتابعه، وخصوصاً عندما سمعت (فاتن) (فؤاداً) يقول للمرأة التي بقربه وهو في السيارة...

- هناك سيارةٌ تلاحقنا! أتعرفين من صاحبها!

- يااللهي! انها تشبه سيارة زوجي...

- ماذا! زوجك! هل انت على وئامٍ معه! ألم تقولي إنه قد هجرك! كيف علم بالأمر! هل هو من اتصل بك!!

- انتَ تعلم مقدار جنونه وتعرف كل شيء عني! لا أدرى كيف علم بما جرى وبعودة علاقتنا، ربما... ربما عندما حاول العودة إليّ فنهرته آخر مره! صدقني! أنا لم أُعدْهُ الى حياتي مطلقاً! فؤاد! لاتغضب، ارجوك!

- يااللهي! ولذلك هددك هاتفياً وتوعدني بالقتل!!

شهقت (فاتن) ذعراً وهي تكتم صرخةً كادت تخرج من صدرها، ذعراً على(فؤاداً) وخوفاً عليه ولأجله... ضغطت بقدمها على ضاغطه البنزين أسفل منها كي تواكب سرعة سيارة ذلك سيارة ذلك الزوج المجنون وسياقته الجنونية بشكل متعرج بين السيارات وسط الزحام...

عندما خرجت السيارتان من الزحام فوق الجسر المعلق، أخذت تلك السيارة تلاحق سيارة (فؤاد) بجنون حتى ارتطمت بها، أمام ناظري (فاتن) التي لم تكن قادرةً على متابعة اللّحاق بتلكما السيارتين... إجتاز (فؤاد) السيارة وتخلص منها بصعوبة وظلَّ يسير بسرعةٍ مبتعداً عنها بينما بقيت تلك السيارة تطارده مطاردة جنونية و(فاتن) تحاول اللحاق بهما دونما جدوى حتى أضاعتهما وقد ابتعدا كثيراً عنها وتواريا عن ناظريها، فقررت العودة إلى المنزل وقلبها ينزف ألماً...

- -

الفصل الرابع

دلفت إلى منزلي وقلبي يعتصر ألماً... ((لا!! لن أكلّمه، ولن أتصل به! لقد رأيت بأم عينيّ ما رأيت!)) ...

هتفت في سرّي وأنا اعتصر الوسادة بأناملي ودموعي تنهمر فوقها كالسيل الجارف... تذكرتُ نظراته وهو بقربي، وتذكرت همساته... زاد نحيبي وزادت حسرتي ولكنّ قلبي خفق فجأةً خوفاً عليه... رغم كلّ شيء، خفتُ عليه... صرخت بذاتي: (كفى، أيتها الحمقاء، كفيّ عن الاهتمام بمن استغفلك وجعلك مجرد آلةٍ حمقاء، مجرد تحفةٍ أقتناها، ووضعها أمامه... لكنْ لمَ تزوجني إنْ كان لا يزال يريد صديقاته القديمات، ولايزال لايستطيع مقاومة ايّ واحدةٍ منهنّ إنِ آرتمت بين ذراعيهباكيه، نادبةً زواجها التعيس... يالحظك العاثر يافاتن! أو هكذا تجازيني يا (فؤاد)! لقد أحببتك بكل كياني، وبكل جوارحي... أخلصتُ لك في كل شيء... لماذا!)... وبكت بألم وأنا اعتصر وسادتي أكثر فأكثر، حتى غلبني النعاس فنمت وأنا على ذلك الحال...

لم أشعر متى ذهبت فرح إلى الدوام أو (فارس) لأنهما لم يوقظاني!!... بقيتُ نائمة حتى ساعةٍ متأخرة من النهار، فتهضتُ فزعةً وأنا أرى الساعةً قد تجاوزت العاشرة والنصف... كان صوت هاتفي النقال هو من أيقظني... نظرتُ المتصل... لم أصدّق عندما قرأتُ أسم المتصل... كان (أمير) على الخط... فتحت الاتصال، ووضعت الهاتف على اذني...

- مرحبا! أمير!!...

- فاتن! هل أنتِ بخير!

- نعم! ماذا هناك...

- ماذا هناك... أنا الذي يجب أن اسألك!؟ حسنٌ ربما أنت لاتعلمين! هل كنت نائمه!

- أعلم ماذا! تحدث! ما الأمر؟!

- فاتن! لقد قرأت صحيفة الصباح الامريكية... كانت هنالك حادثة تصدرت العنوان الرئيسي فيها... آسف يا فاتن لكنني أتحدث إليك وأنا في الطريق إليكم، أنا الآن في سيارتي... حسنٌ... اعتبريني لم أقل لك شيئاً!!

- تحدث بسرعة، أرجوك! سوف يتوقف قلبي...

- كلا، فاتن! سلامة قلبك! أرجوكِ اهدئي... أين هو (فؤاد)...

- خرج منذ البارحة ولم يعد! لماذا؟ ماالامر...

- حسنٌ... أستميحك عذراً... إذهبي لتناول فطورك، لابدّ وأنك كنتِ نائمه وقد أستيقظتِ للتو!! أليس كذلك!

- أمير! إمّا ان تتحدث أو...

- فاتن! أرجوك... سأقفل الخط...وداعاً ... أنا في الطريق...

أقفل(أمير) الهاتف فجأةً بوجهي فبقيتُ في حيرةٍ واندهاش... هرعتُ بسرعة إلى الطابق السفلي وأرتديت حجابي لأذهب نحو صندوق بريد منزلي حيث يرمي بائع الجرائد لنا أسفله جرائدنا التي كان (فؤاد) مشتركاً بها، (لأنني لم أكن أهتم شخصياً بأية جريدة!!) ...

أخذتُ أقلّب الصحف بين يدي كالمجنونه، عندما وقعت عيناي على الجريدة المنشودة... كان العنوان واضحاً وجلياً... (مصرع أستاذ جامعي لم يعثر على جثته وقد سقطت سيارته من أعلى الجسر إلى مياه البحر) ...

شهقت شهقةً كادت زوحي تزهق معها وأنكفأت على نفسي غير مصدقةٍ ما أقرؤه!! تابعتْ عيناي التقرير غير مصدقةٍ... لقد كان التقرير كالتالي...

تأتي صباحات جديدة في ولاية كاليفورنيا الأميركية، لتعثر الشرطة على جثةِ امرأة غرقت بعد سقوط سيارة لم يعثر على جثة صاحبها، الذي عرفت الشرطة بعد البحث الدقيق، عودتها إلى أستاذ جامعي للغة الفرنسية في أحدي أكبر جامعات الولاية... وقد قام شخص مجهول بالأبلاغ عن الحادثة بعد أن...) ...

لم أستطع إكمال القراءة، إذ شعرتُ أنّ الأرض تهتز وتميل تحتي، ولم أشعر بنفسي بعد ذلك، إذ أغمي عليّ وسقطت على الأرض...

فتحتُ عينيّ لأجدني فوق سرير في المشفى وبقربي كان أمير جالساً ينظر بقلق، بينما هاني يقف خلفه... صاح (هاني) بسعاده لمّا رآني أفتح عينيّ...

- حمداً لله! لقد أفاقت (فاتن)...

- فاتن! هل أنتِ بخير!

- هتف (أمير) بقلق وهو ينظر إليّ بحنو كبير بعينيه السوداوين... نظرت نحو (هاني) وحولت طرفي إلى (أمير) ...

- أين (فرح) و (فارس)! هل هما بخير!

- أنهما قلقان عليكِ عزيزتي... لكنهما بأفضل حال، ولقد تركناهما في المنزل ولم نرضَ أن يأتيا هنا، وبقي هاني معي حتى أستفقت...

- لقد تحملتما الكثير بسببي! أشكركما... لكنْ... وأغرورقت عيناي بالدموع فأبعد (هاني) نظراته عني وقد لحظتُ أنه قد بدأ بالبكاء فعلاً...

- أين (فؤاد)... أجيباني... (أمير)!! هل ما قرأته صحيح! يا ألهى... (أمير)... هل مات (فؤاد)!

عندما عدتُ إلى منزلي، لم أصدق أني لنْ أسمع صوت (فؤاد) وهو يناديني، أو أنني لن أستطيع رؤيته، لم أصدّق شعور عدم وجوده!! كيف وهو موجود في كل ركن من المنزل وحولي وفي قلبي... في ذاكرتي، في صورنا المشتركة، فوق مقعد السيارة حيث نذهب سويةً، في الجامعه، على المدرّج، عند المدخل، في كل مكان...

(ماذا سأقول لطفليّ اللذين سأرى في عينيهما اليتم؟!) ...

أغلقت الباب خلفي وانتحبت بجنون في غرفتي... لقد أوصلني (أمير) إلى منزلي بسيارته بعدما كتب الطبيب المعالج لي تصريحاً بالخروج، وألحّ عليّ أن يذهب بي إلى أي مطعم أو مكانٍ ما لأرتاح فيه ريثما تصل (فرح) من الجامعه و (فارس) من ثانويته، كي لا أبقى بمفردي، لكنني شكرته وأرتجلت من سيارته لأدلف منزلي والألم يعتصر قلبي... لقد قصّ (أمير) عليّ أن الشرطة لا تزال تبحث في قضية (فؤاد) ولاتزال عناصر الإنقاذ تحاول إيجاد جثة (فؤاد) في البحر...

لم يعثروا سوى جثة تلك (المرأة)، بينما شهد أحد جيرانها متابعة زوجها لهما بالسيارة كما أكدّت كاميرات المراقبة ذلك وكاميرات الشارع العام حديث الجار...

خشيتُ عند ذاك اكتشافي، لمّا قص (أمير) الأمر عليّ، لكنني طمأنت نفسي، بأنني لستُ طرفاً في القضية وأنّ المتهم الأساسي هو زوج تلك المرأة الذي ظل يطاردهما، ولكم شعرت بالذنب لأني لم أبق معهما وخلفهما كي أحول بين (فؤاد) وسقوطه من فوق الجسر الى البحر!!

لقد عانيت صراعاً داخلياً رهيباً في تلك اللحظات المريرة والدقائق الثقيلة الخطا حتى قدم طفلاي... كان صوت (فرح) وهي تصعد السلم وتنادي بصوت فزع باسمي.. فتحت الباب لتراني باكيةً فوق السرير جالسة لا أعرف ماذا أفعل!!...إحتضنتني بقوةً وهي تبكي وتربّت على ظهري وتقول بألم...

- أماه! سلامتك! أرجوك يأماه كوني قويةً لأجلنا... من لنا من بعد الله غيرك، بعد أن... بعد أن غاب (بابا) عنا ورحل!...

وأجهشت (فرح) بالبكاء، بينما أنهمرت دموعي مدراراً، ووجدت (فارساً) الذي... (آه... كم كان يشبه فؤاداً عندما كان في عمره) ... يقف بجوار طاولة زينتي وعيناه الزرقاوان تلتمعان ببريق حزين...مددت ذراعيّ نحوه فارتمى في حضني وبين ذراعيّ بينما ضمتنا (فرح) معاً وبكينا سويةً...

بعد مرور عدّة أسابيع من الحادث وقيام الشرطة بالتحقيق والانشغال بالبحث ومحاولة العثور على (جثة) فؤاد دون جدوى، قررت الشرطة إغلاق التحقيق وحفظ الملف ضد مجهول لعدم عثورهم على أدلةٍ كافية ضد الزوج الذي أنكر علاقته بالأمر... أقام (أمير) جنازة رمزية لـ (فؤاد) وأقيم عزاء على روحه بعد مرور شهرين لم نعثر له فيهما على أثر مطلقاً، ومع أغلاق الشرطة للقضية بعد ذلك...

حضر الجنازة مجموعة من طلاب فؤاد وطلابي مع أساتذة زملاء لنا سوية وزميلات مشتركات... إضافةً لأقرباء والد (فؤاد) المهجرين الذين سمعوا بالخبر فحضروا، هذا علاوةً على وجود (هاني) وزوجهِ و (أمير) معنا بكل تأكيد... أَهَلْنا التراب فوق جنازته الرمزية وبكينا بألم أنا وفرح و (فارس) الذي ألقى خطاباً أمام الحاضرين في مجلس العزاء بعد ذلك في منزلنا، حيث تحدث عن والده بأجمل حديث، جعلني أذرف الدموع مدراراً ولا أستطيع الرؤية من فرط البكاء...

إعتكفت في غرفتي بعد ذلك، بعد أن أعطتني الجامعه إجازة من عملي بسبب (وفاة) فؤاد... لم أصدق حقاً أنه قد توفي... تخيلته بقربي فوق السرير يكلمني و يُسْمعني كلماته الحنونه... نسيتُ كل ما حصل مع تلك المرأة... نسيت خيانته ونسيتُ ما جرى، وبقيتُ أبكيه، وأعطيه كل العذر لخيانته، فتارةً أقول، أنها هي من ارتمت عليه... وتارةً أقول، أنه فعل ذلك لأجل ترقيته، وتارةً ثالثة، أعذره وأعْزي الأم ر لشدّة وسامته رغم كبر سنه،وأتعذر له في داخلي وأنا اقبّل ثيابه التي أخرجها من دُرجه لأفضّها وأعيد ترتيبها مرّةً أخرى، بعد أن أُشبعها قُبلاً، لأنّه هو والدي وزوجي وصديقي، ومن رعاني في طفولتي ولمّا كبرتُ أحبّني وملأني إحساساً بكياني، فكيف لي أن لا أعذره، أو أن لا أغفر له... نسيتُ أنّه قد خانني بل كأنّه لم يفعل ذلك اطلاقاً، بل في أحيان كثيره كنتُ أقول لنفسي، لعله لم يفعلها مع تلك المرأة مطلقاً، بل كان يراوغها لأجل العلاوة والترقية فحسب!!...أفعل ذلك كل مرةٍ ثم أنتحب بجنون...

وبينما كنتُ أستخرج اغراضه الشخصية في إحدى الأيام و (فرح) في دوامها الجامعي، وكذلك (فارس) بينما أنا ماكثةٌ بمفردي في الدار، إذا بي أعثر على شريط صغير قديم (DVD) محفوظ بين أوراق ومستنداتٍ فوق مكتب (فؤادٍ) الذي كنتُ أرتّب أغراضه وأستعرض أوراقه صفحةً صفحةً وأسَلّي نفسي بترتيب أدراجه والعبث بالحاسوب الموضوع فوقه وآستعراض محتوياته وماخَزّنه (فؤاد) في ذاكرته...

رفعت القرص بين يديّ وقرأتُ ماكتب فوقه بخط يد (فؤاد) فوجدت أنّه قد كتب عليه بالعربية (ذكريات من العراق)... إنتابني الفضول، وحاولتُ العثور على جهاز آستعراض قديم لهذا الفيديو، لكنْ، لم نكن نملك واحداً قديماً فتلك الأجهزة قد آنقرضت مذ كان فؤاد مراهقاً، بعد دخول الانترنت والحاسوب عالم التقنيه العلميه وحيازتهما على مرتبة الشرف في كل المجالات التطبيقية في واقع حياتنا، حتى اصبح الهاتف المحمول يداً ثالثةً لا نستغني عنه في حياتنا مطلقاً وما إن نرميه جانباً حتى نعاود تصفح شاشته والأمعان في النظر الى إشعارات رسائلنا عليه او التقاط صورةٍ شخصية لنا بواسطته! فكرتُ في سريرتي... كان هنالك مخزن للأغراض الزائدة في عليّة منزلي وفي مرآب السيارة في حديقة منزلي الخارجية، وفي ذنيك المخزنين لربما وضعت أغراض (فؤاد) القديمة التي جلبها معه لمّا جاء للسكن معي وقام بتأجير منزل والديه الذي اشترى حصص اخويه فيه وأصبح ملكاً له...

عقدتُ العزم على البحث على ذلك الجهاز العارض للفيديو، وأخذت أصعد السلم حتى العلية وهناك أخذت أُقَلّب الصناديق وعلب الكارتون التي تضم أغراض أطفالي وأغراض فؤاد وأغراضي من بينهما... سقط فجأةً دفتر مذكراتي من ذلك الصندوق الكبير، فشعرت بقلبي يسقط معه...بأناملي قبل سنواتٍ طوال أستنجد بها بفؤاد عَلّهُ ينقذني من براثن عمي...

أغلقتُ الدفتر فجأة وكنتُ قد جلست القرفصاء، لاحت مني التفاتةٌ إلى كاميرا قد سقطت من الصندوق الكبير، فتلقفتها وفتحتها... كان فيها عارضٌ للفيديو ففتحته وأخذتُ أشاهد ماصُوّر فيه... وجدتُ فيه تصويراً قديماً لي مع أمير وهاني لمّا كنا صغاراً... شهقت بفزع... كان ذلك تصوير فؤاد لنا... لقد صورنا وهو يغنيّ لي، بينما كنتُ أغنيّ معه وأنا طفلةٌ صغيرة... أدمعت عيناي وآعتصر الألم قلبي... قررتُ العثور على ذلك الجهاز بأي ثمن كي أستطيع توصيل ذلك القرص (DVD) وآستعرض كل محتواها وما صورّه فؤاد عليه...

قلبت (فاتن) العليّه دون أن تعثر على الجهاز وشعرتْ باليأس، فقررت الهبوط الى المرآب حيث سُطّرت مجموعةٌ من الصناديق القديمة التي تحوي ألعاب (هاني) (أمير) وهما صغيران، أو مجموعات صور للعائلة، أو لعب (فاتن) و (فارس) وما يشابه ذلك... بحثتْ (فاتن) بغضب، وقد شعرت بالملل من البحث، ولمّا أصابها الأعياء، فكرّت في سرّها... (حسنٌ، لاتزال الكاميرا عندي، سأستعرض فيها ما صوّره فؤاد قبل سنوات طويلة) ...

نهضتُ لأترك المكان، بعد أن أعدتُ الأغراض الى مكانها، وبينما أنا أفعل ذلك، إذا بي، ألمح بين الصناديق شيئاً مميزاً... نظرتُ مقرباً، فأذا بي أجد عارض الفيديو نفسه متربعاً بين الأغراض القديمة ومفك البراغي وبين إطاراتٍ عتيقةٍ مركونة على جدار المرآب... حملته كطفل صغير وطرتُ به فرحاً حتى المنزل مع الكاميرا القديمه الخاصة بـ (فؤاد) ... وضعت الشريط في الجهاز بسرعة وجلستُ فوق الاريكة الأثيرة لدى (فؤاد) دون شعورٍ مني حيث كنتُ أجلس في حضنه أو يضمني إليه دوماً ونحن نشاهد التلفاز سوية... إنتظرتُ قليلاً عندما ظهر ضوءٌ في الشاشة، وآرتسم وجه (فؤاد) الغالي فوقها... شهقتُ بألم وسالتِ الدموع من عينيّ... كان في عمر ولدي (فارس) تقريباً...

- هيا ياحلوتي! من هي التي ستقصّ لنا قصةً جميله! هه! إنها ... إنها... (فاتن)...

قال ذلك ثم وجّه الكاميرا إلى طفلةٍ صغيرةٍ في العاشرة من عمرها، كنتها (أنا)!! إبتسمتُ في الفيديو ونظرتُ بخجل إلى (بابا فؤاد) وبدأتُ أحكي قصة (ليلى والذئب) عندما هجم (أمير) فجأةً علينا وهو يحمل سيفاً للمبارزة مخصصاً للعب، فضربني مازحاً على كتفي به وهو يصرخ..

- هيا يا ليلى أعطيني ما عندك من طعام! لن تصلي به إلى جدتك!! اللعنه عليكِ وعلى جدتك!

وهنا آنفجرت خالتي وفؤاد بالضحك... صوّر فؤاد خالتي، وكانت في غاية الجمال والشباب... زاد نحيبي وبكائي، بينما قفز (هاني) نحوي وهو يحتضنني ويضربُ (أمير) ليبعده عني..

- إترك (ليلى)! لاتؤذيها! أنا الصيادُ وسأدافع عنها! إذهب إلى الجحيم... تعالي يا (فاتن) لا تخافي! وأخذ (هاني) سيفاً آخر وقاتل (أمير) بينما آنفجر (فؤاد) وخالتي بالضحك عليهما وصوّر والده جالساً أمام التلفاز على الأريكة وهو يلتفت بصمتٍ مبتسماً لولده ولزوجته بينما بقيت عيناه معلقتان بالبرنامج الذي يتابعه ويشاهده... ذرفتُ الدموع وأنا أنظر إلى (فؤاد) الذي قام بحملي بذراعيه إلى اعلى بعد أن أعطى الكاميرا لوالدته لتصورنا... حملني كطفلةٍ لهُ وأخذ يحدثني بصوت حنون...

- (فاتن)! أيهما أجمل! العراق أم أميركا... لنجري تحقيقاً مع فاتن، صورينا يا أماه! حسنٌ... هيا... تبسمّتْ تلك الطفلة ببراءه وفؤاد يضمها بين ذراعيه، والكاميرا مسلطه إلى وجهها مباشرة...

- أنا أرى المكان جميلاً بجمال العائلة فقط...

تحولت ضحكات (فؤاد) ألى صمت مطبق بعد كلمات تلك الطفلة التي كنتها، بينما آقتربت خالتي مع الكاميرا لتحتضنني وعاد فؤاد يصورنا جميعاً..

فجأةً آنقلب موضوع التصوير إلى لقطات أُخر ويوم آخر... مسحت دموعي لأرى جيداً... رباه! لقد كان (فؤاداً) وأنا بين ذراعيه نائمه فوق السرير وقد كنتُ طفلة في التاسعة والنصف من عمري... حاولت آستذكار تلك اللحظات دونما جدوى... لكنْ، متى حصل ذلك... فجأةً تحدث فؤاد بواسطة الكاميرا مرةً أخرى!

- فاتن الصغيره... فاتنتي! (هتف بلفظ آسمي بالانكليزية)

- بابا فؤاد!

أجبتُ بصوتٍ خاشع وأنا متكورةٌ على نفسي كقطةٍ هاربة خائفة...

- لا تخافي! آنظري! هاانذا أصور نفسي معك، لاشيء مخيف، مجرد رعد سيذهب... عاصفة رعدية ستمضي!

وفجأه دوّى صوت مهول فقرتْ تلك الطفلة فوق صدر فؤاد وبين ذراعيه وهي تصرخ من الذعر وقد أصمّت اذنيها بيديها..

- أماه! أماه!

صرختْ الطفلة في الفيديو... إحتضنها (فؤاد) بحنان...

- لاتخافي (فاتن) ... أرجوك، أنا بقربك...

تكورت تلك الطفلة أكثر فوق صدر (فؤاد) وضمت نفسها بقوة أكبر إليه بينما ضمها بذراع واحدة بقوةٍ أكبر وهو يهدهدها ويطمئّنها بينما كان (يصورنا) معاً بيده الأخرى... لم اصدّق أني قد فعلتُ ذلك ونمت قرب (فؤاد) وأنا صغيرة في ليلةٍ ما... متى حصل ذلك! لابدّ وأنّ ذلك حدث أوّل قدومي من (العراق)، لمّا كنتُ أشعر بغربةٍ مضاعفة، وبسبب معاملة عمي وزوجه...

- فاتن! لاتخافي ابداً وأنا معك... حسنٌ... مزافقة!

قال فؤاد وهو ينظر الى الكاميرا ثم إليّ...

- ما رأيك، قولي أمام الكاميرا أنك لستِ بخائفة!

- أنا لستُ بخائفة مادمت معك (بابا فؤاد) ...

- حسنٌ يا صغيرتي! هيا بنا للنوم... سأطفئ الكاميرا..

رنّ جرس الهاتف الذي كان بجوار سرير (فؤاد)... كانت المتصلةُ (امرأة) عرّفت عن نفسها عبر الحاكية التي فتحها (فؤاد) لأنّه كان يصورنا معاً ولا يستطيع حمل الهاتف... وهنا، أخذت المرأة تحدث (فؤاد) بكلّ كلمات رقيقة وقد عدّلتْ نبرة صوتها لتزيده إغراءاً له، وهي تقول: -

- حبيبي! هل سألتقي بك غداً... لقدأجلّتَ لقاءنا اليوم... أو لن اراك غداً... كان بالأمس موعدنا رائعاً وكنتَ مذهلاً وأنت تقوم بـ ...

هنا قام فؤاد بأغلاق الهاتف وهو يبتسم بأحراج...

- (فاتن)! هذه إحدى المعجبات بي... لاتبالي بها... إنها لحوحة جداً ولاتملّ الكلام... تريد وتصدق بكل كيانها أنها سوف تتزوجني! هل تقبلين يا فاتن! هه! هل توافقين أن تتزوجني! مارأيك؟!

معاً

قال ذلك وهو يعبث بحاجبيه فيرفع حاجباً ويعيدُ الآخر الى مكانه فانفجرتُ بالضحك بينما كنتُ أبكي... سمعت تلك الصغيرة التي كنتها فجأةً تحيط (فؤاداً) بذراعيها وهي تهتف بصوت غاضب...

- لن ادع أحداً منهنّ تتزوجك! انا سوف أتزوجك لمّا أكبر يا (بابا فؤاد) ...

وهنا!... تغيرت ملامح (فؤاد) الى دهشة مفرطه، ثم انفجر بالضحك وضمني بذراعيه ثم أقفل الكاميرا... وكان هنالك مشهد ثالث في ذلك الفيديو...

فؤاد بجوار والدتي ووالدي... أين هو يا إلهي! كان ذلك منزل والدي في العراق... كانت خالتي بالتأكيد من تصورهم، وكان فؤاد صغيراً لم يبلغ الخامسة عشر بعد... كان يتحدث العراقية مع والدتي التي ضمته الى صدرها وهي تمازحه بينما بطنها كانت منتفخة للغاية... كانت حاملاً بي... (ياالهي)!! شهقتُ بألم بينما دموعي تنهمر... نظرتُ الى والديّ وفكّرت كم كانا رائعين... فجأة ظهرت خالتي أمام الكاميرا وهي تقربها من وجهها وتهتف متحدثةً بالاميريكية، أنها سوف تباغت فؤاداً وأختها، حيث صرخت فجأة بفؤاد الذي كان يحتضن والدتي وقد وضع رأسه فوق صدرها... (ماذا تفعل!!؟) (إنهض واجلب الشاي لنا) فنهض فؤاد فزعاً بينما انفجرت خالتي بالضحك عليه...

أخذ (فؤاد) يصرخ بالاميركية محتجاً على والدته التي جلست مكانه واحتضنت (أميّ) وهي تقول لولدها البكر... (أنا قد قَدَمْتُ طوال هذه المسافة لأرى اختي فكيف تريدني أنْ لا أختلي بحبي لها... إذهب بعيداً إنها ملكي أنا! حبيبة قلبي وتوأمي) ...

بعد لحظات قفزت خالتي فزعه، وأنقلبت الكاميرا... لم أفهم ماذا جرى، سمعت في الفيديو أصوات ضحك ممزوجة بصراخ، عندما رُفعت الكاميرا فجأة وظهر وجه فؤاد الطفولي، وهو يضحك ويتحدث بالاميركية... (لقد تغلبتُ عليها... عدوّ المرأة اللدود وقاهر أكبر امرأة في الكون! إنه عبارة عن لعبة بلاستيك على شكل سحليه، تكفي لتحول جيشاً من أعتى وأقوى النساء، إلى مجرد جيش من ورق!!...) ...

وتعالى صوت قهقهاته الجميلة البريئة لمّا كان لم يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً... وانتهى الفيديو عن العرض حينذاك... فشعرت بأنني أريد الموت!!ضممت ساقيّ إلى جذعي ودفنت رأسي بينهما وأجهشت بالبكاء وأنا أصرخ... (فؤاد! اين انت يا فؤاد! لمَ تركتني هكذا... كيف سمحْتَ لنفسك أن تتركني... لماذا فعلت بي هذا... كيف ... كيف... لمَ يا إلهي ساعدني!)

نهضتُ في اليوم التالي لأنظر سقف سريري العريض ذي الأعمدة الأربعة والتي تتدلى الستائر من أطرافها بلون أرجواني مائل للأحمر القاني أكثر منه للبنفسجي المزرق...

أغمضتُ عينيّ وأنا أتخيل (فؤاد) فوق السرير وقد استند بذراعه اليسرى على وسادتين وفيرتين وهو يرتدي قميصاً أبيض فضفاضاً مفتوح الأزرار ويده اليمنى معلقة بأطراف شعري تتلاعب أنامله بخصلاته...

((حبيبتي (فاتن)... صباح الخير...)) ...

تخيلته يناديني كما اعتاد وهو ينظر إليّ بحبٍّ شديد بعينيه الزرقاوين... شعرتُ بألمٍ يعتصر قلبي...

(لا أصدّق أنك كنت تخونني يا فؤاد... من المستحيل أن تفعل ذلك... لكنْ كيف لي أن اعرف... لقد ذهبتَ بعيداً ومات السرّ معك...وماتت تلك المرأة اللعوب!) ...

دفنت رأسي فوق الوسادة وضغطتها بقوةٍ بذراعيّ، عندما شعرتُ وكأنّ يداً تلامس رأسي وتمرّر أناملها فوق خصلات شعري الطويل حتى نهاية جذعي...

شعرتُ كأن يده تحطّ على ظهري وأنه بجواري يحدّثني وأشعة الشمس الجميلة التي دلفت من نافذة غرفتنا العلوية الواسعة تتخلل خصلات شعره السوداء وتحطّ على بشرته البيضاء جداً، لتزيدها جمالاً وتضفي وسامةً إضافية عليها وكأنّ توسّط تلكما العينين البلورتين كقطعتي حجر كريم كحجر الزفير الأزرق، لاتكفيان لجعله وسيماً لدرجةٍ تفوق طاقتي على وصفه...

(حبيبي فؤاد... هل هذا معقول أنني لن اراك... أنا راضيةٌ إن كنتَ تخونني... سأرضى، وسأقاوم حتى تعود إليّ مخلصاً، لكنْ... أن لا اراك... أن لا أسمع صوتك ولا أشمّ رائحتك قربي، شيءٌ لا أقوى عليه... سأموت يافؤاد دونك... سأموت حقاً... لقد اشتقتُ اليك... إشتقتُ إلى حنانك ونظراتك الطيبة وخوفك عليّ... إشتقتُ إلى كل شيء يتعلق بك... رباه! ماهذا العذاب؟ ... كيف سأحيا دون (فؤاد)... إنَّه بلاءٌ عظيم... أستغفرك ياالهي... لا أعترض، ولكنْ... كيف بي، وكيف سأحيا دونه... أرجوك ساعدني يارب...) ...

تخيلته وهو يجلس بقربي عندما أبدأ العزف فوق البيانو في ركن غرفتي، حيث كنتُ أعرف ما أذكره من مقاطع صغيرة تعلمتها مع أمير في صغر سني...

يظلّ يرقبني بفخر وكأنني أقوم بأمر (إعجازي)! ثم يصفق لي ويحتضنني مقبلاً رأسي وهو يقول:

- أنا فخور بك يا صغيرتي الحبيبة... أنتِ رائعة... شعرتُ أني ازددتُ حباً له بعد غيابه عني... وأنيّ لن اقوى على الحياة بدونه أبداً... ولماذا أحيا!؟

الفصل الخامس

مرّت عدّة أشهر على فقدان (فؤاد) ولم يصل خبرٌ منه إلى (فاتن)، التي أخذت إجازة مفتوحة بدون راتب من دوامها لأنها وببساطة (دخلت في حالة اكتئابٍ شديدة)، بعد كلّ ما جرى معها... كان الكلّ قلقاً عليها... لم يرحل (أمير) إلى عمله بل ظلّ يتابعه من تلكَ المدينه حيث استأجر شقةً قريبة على موقع سكن (فاتن)، بطلبٍ شخصي من (فرح) التي كانت تتصل يومياً بعمهّا وتخبره عن حالة والدتها حيث اعتكفت في غرفتها لا تبرحها أبداً...

لقد فقدت (فاتن) الأحساس برغبتها بأي شيء... كلّ ما كانت تفعله هو الحديث مع (فؤاد) وكأنه موجود ...

تتأمل صورهما معاً وتتخيل وجوده قربها وتبكي غيابه الفعلي عنها وتدخل في نوبة هستيرية من البكاء على حين غفلة دون رغبةٍ منها في تناول أي طعام...

كانت (فرح) تأخذ الطعام الى غرفة والديها وتحاول بكل جهدها أن تطعم والدتها ولو نزراً يسيراً يبقيها على قيد الحياة ...

أصبحت (فاتن) هزيلةً جداً، وأصبح وجهها يوماً بعد يوم أكثر شحوباً وكانت (فرح) تذرف الدموع كلما حاولت إطعامها فتأبى هي ذلك ... حاول (فارس) مراراً فعل نفس الشيء مع والدته... لكنها لم تكن ترضى بتناول بشيء، اللهم إلا النزر اليسير وبعد محاولات شديدة ....

أدّى كل ذلك إلى إصابتها بالضعف العام وعندما دلفت (فرح) غرفتها في إحدى الأيام حاملةً بعض الطعام معها وحاولت أيقاضها، وجدتها لا تردّ الكلام ولا تستيقظ...

صرخت بصوت عالي وهي تهزّ والدتها، لكنْ دونما جدوى ... رفعت سماعة الهاتف قرب سرير (فاتن) واتصلت بسرعةٍ بعمها (أمير) الذي ردّ بسرعةٍ على اتصالها وقال لها أن تبقى بقرب (فاتن) حتى يأتي اليها بسرعة ليقلها الى المشفى...

كان (أمير) قد نقل عمله إلى (لوس انجلوس)، بعدما كان قد أسس شركته مع (فاتن) – وبنقود فاتن التي ورثتها من ميراث والديها – من مدينته الاصلية (سان فرانسيسكو) ... لكنّ زواج (فؤاد) مرةً أخرى من (فاتن) بعد تطليقها منه – وهو الذي لم يقضِ مع (فاتن) سوى ليلةٍ واحدةٍ لم يسمع منها فيها سوى هتافها حتى في نومها باسم (فؤاد) فأضطر إلى تطليقها بقلبٍ دامٍ وروح كبيرة. فهو لم يستطيع نسيان حبه لها أبداً.... لقد ابتعد عنها كي لا يراها مع (فؤاد) ، بسبب حبه الشديد لأخيه الأكبر، وحبّه الصادق لـ (فاتن)، فما كان له مع كمّ المشاعر ومزيجه ذاك ، أن يسيطر على انفعالاته، إن رأى (فؤاد) يحتضن (فاتن) أمامه، أو يسمعها كلمات الغزل... كان يموت الف مرّةٍ دون أن يتكلم ، ولذلك قرر الرحيل والسفر... حاول أن ينسى... حاول أن ينغمس في العمل علّه ينسى حبّه لها... ولكنْ، كيف له ذلك، وهو يستذكر كيف كانت (فاتن) تسابقه في طفولتهما وهما يركضان بأمرٍ من (فؤاد) نحو شجرة بنى (فؤاد) فوقها منزلاً صغيراً ليلعبوا فيه قبل مجيئ (فاتن) اليهم... كانت (فاتن) تخشى المرتفعات ، وتخاف صعود الشجرة...

كان يستذكر (أمير) ذكريات طفولته مع (فاتن) وهو يعزف الكمان قربها بينما تعزف هي على البيانو، بعضاً من المقطوعات التي علمها (فؤاد) عزفها... كانت ذكيةً جداً وسريعة البديهيه والتعلم ... صحيح أنها لم تمكث كثيراً في طفولتها معهم، لكنّ وجودها أثرّ في كل العائلة وطبع بصمته المميزة على كل مقدراتها...

كان دوما يشاكسها في الصغر، دون أن يعلم لماذا... يجرّ حجابها ويركض، أو يُفزعها على حين غفلة فتركض خلفه وهي تصرخ: [(بابا فؤاد) أنقذني منه!] بينما هو يركض ضاحكاً هازءاً بها...

كان دوماً وكلما حاول الأستراحة في الليل بعد نهارٍ شاقٍ من العمل والتعامل مع العملاء والزبائن، ومرؤسي العمل، يجلس لينظر أشرطة الفيديو القديمة التي صورها (فؤاد) أيام كانوا صغاراً- وقد كان (فؤاد) يعشق التصوير منذ صغر سنّه- وفي تلك الأشرطةِ كانت (فاتن) في كل مكان... فها هي في إحدى المقاطع التي استعرضها (أمير) في إحدى المرات تنظر إلى (فؤاد) وهو يصورهما يحاولان الصعود إلى (منزل الشجرة) ... كانت تطلب النجدة بعينيها كي لا تصعد، لكنّ (أمير) يمدّ يده اليها ويقول لها وهو يمسك بالدرج الخشبي المعلّق والمصنوع من الحبال...

-أمسكي بيدي يا (فاتن) ولا تنظري إلى أسفل أبداً... سوف ترين كم تكونين سعيدةً عندما تشاهدينَ منزلنا فوق! هيا تشجعي... لا تكوني جبانة أيتها الجبانه!

-أنا لستُ جبانة!

كانت (فاتن) تهتف في التسجيل الصوري الصوتي... وأمسكت بعد لأْي بيد (أمير) وصعدت خلفه وهي منكمشةٌ على ذاتها خائفة إلى أقصى الحدود، وظل (فؤاد) يصورهما وهو يكتم ضحكاته التي سُمعت في الفيديو حتى وصلا نهاية السلم عندما رفعها (أمير) بسرعه وأحتضنها خوفاً عليها من السقوط، فابتعدت عنه خجلاً ودخلت المنزل بسرعه..

أما ذكرياتهم بعد عودتها من العراق، فقد كانت لا تفارق مخيلته ابداً... رغم أنها أيضاً قد وُثّقت من قبل (فؤاد) ومن قبل (هاني) أحياناً أخرى، وهو يصور لحظات ودقائق من تجمعهم العائلي...

كان (أمير) أحياناً يبكي وهو يجلس بمفرده ينظر تلك التسجيلات وسيجارته بيده... لم يكن يعرف ماذا جرى له ... ولم يكن يعرف متى بدأ حبّه لـ (فاتن)، لكنّه انصدم يوم جاءا من المسجد وأعلنا زواجهما فقام باحتضان أخيه وهو يدّعي السعادة والفرح له كي يكتم استياءه ودهشته، فهو قد كان على علمٍ بأعجاب (فؤاد) بابنة خالته (فاتن)، لكنه لم يعلم أنّ (فاتن) قد أحبّت (فؤاداً)!

وكيف له أن يعلم و (فاتن) فتاةٌ خجولة مهذبةٌ لا ترفع عينيها لتنظر في عينيه حتى تغضهّما خجلاً!!... هل كان (أمير) مثل (فؤاد)، محبوب النساء ومعشوق الفتيات!... كلاّ... لم يكن بمثل وسامته، ولكنهّ كان وسيماً كفايةً بشعره الأشقر وعينيه السوداوين وملامحه الدقيقة التي تشبه كثيراً ملامح أخيه الأكبر... وسيماً كفايةً ليوقع الفتيات في شباك حبّه...

ولقد كانت له عدّة علاقات مع فتيات أميركيات، وكذلك عرف بعض المغتربات العراقيات، اللاتي أردنَ الزواج منه، ولم يمنحن أنفسهنّ مجّاناً، بل كنّ بحاجةٍ للنقود، أما لأكمال دراستهن أو لمواصلة ومواكبة العيش في مستوى معيشي غالي مثل مستوى ولاية (سان فرانسسكو) ... ولذلك كنّ يرضينَ بعقود زواج مؤقته تنتهي بعد مدّة ويذهب كل واحد إلى سبيله... كان (أمير) قد تعلمّ كلّ ذلك من (أخيه) الأكبر وقدوته (فؤاد)... بل لعلّه كان يشعر في أغلب الأوقات أنه تابع لـ (فؤاد) في أغلب تصرفاته وطريقة حديثه أو مفضلاته.... لكنّ مالم يصدقه حقاً، هو أنّ ذوقه في حبّ حياته الأوحد، سيكون نفس من أحبها أخوه الأكبر... ونفس التي اختارها زوجاً له... ولطالما كان يسأل نفسه، هل هو يحبّ فاتن حقاً، أم أنّه يتبع (أخاه) ككل مرّه ويقتدي به كما كان يفعل في أغلب أحواله وتصرفاته في حياته... لقد ناقش هذا الأمر مع نفسه مراراً وتكراراً... وفكر أكثر من ألف مرّةٍ انه لربما ليس (حباً)، بل مجرد (تقليد) أعمى لأخيه الكبير كما اعتاد...

لكنّ الألم الذي أصاب قلبه وتلك المشاعر السلبية التي كانت تنتابه لمّا يرى (فاتن) بين ذراعي (فؤاد) جعلته يوقن أنّه قد أحبّها فعلاً... لقد كان يقارن الأمر مع عدّة فتيات كنّ صديقات له ثم أصبحنَ صديقات لأخيه الأكبر بعد ذلك... عندما كان يفكر في الأمر، لم يكن يشعر بأي شيء... لا بأسى ولا بحزن... بل على العكس ... لكنْ... (فاتن) ، كانت شيئاً اخر، كانت مخلوقاً مقدساً عند (أمير) ، فبمجرد أن يراها حتى يشعر بأنّ قلبه يخفق بقوة، وبجسده يرتعش حباً وعشقاً... لم يكن يدري ماذا يصيبه عندما يراها... إلاّ أنه أدرك ببساطة أمراً واحداً فقط، وهو أنه يحبها بجنون... وأنه يتمنى أن يعيش ولو ظلاً لها، ولو خادماً قرب بابها... لمجرد أن يراها، وأن يستمع إلى صوتها... كان حبه حقيقياً... لم تبدّله السنوات ولم ينسه العمل ولا أحداث الحياة وتقلباتها، أيّ تفصيل صغير منه... أحبّها بكل جوارحه، وكان يصبّر نفسه كل تلك السنوات بأنها سعيدةٌ مع أخيه، وذلك يكفيه... لم يكنْ قادراً على رؤيتها معاً، لكنّ حبّه لها، جعله سعيداً قانعاً لسعادتها ورضاها...

حملها أمير مع (فارس) إلى المشفى، وكانت غائبة عن الوعي، وهناك أعطوها مغذيات عبر الوريد... كانت شاحبةً كالأموات... قال الطبيب لأمير أنّ حالتها خطره، وأنها إن بقيت على تلك الحال، فلن تكون عاقبة الأمر حميدةً مرّةً أخرى...

عندما استفاقت (فاتن) كان (أمير) قربها وقد سهر الليل كله، يرقبها ويتابع حالتها في المشفى...

-أين أنا؟!

هتفت (فاتن) بوهن...

-انتِ هنا في المشفى يا فاتن! حمداً لله على سلامتك!

- آه! أمير! كم تذكرني به! فؤاد... حبيبي (فؤاد) ...لا... لا أريد ان أعيش! لماذا تنقذني كل مرّه! لماذا... أنا لا أريد أن أعيش... أرجوك...

-كفى يا فاتن! أنا الذي أرجوكِ! كفيّ عن تعذيبي... أو لستُ بشراً في حسبانك...

قال (أمير) ذلك وهو يجثو قرب سريرها وقد أمسك بيدها ليضمها بين يديه يقبلها....

-أرجوكِ... لن يقبل (فؤاد) بما تفعلينه بنفسك!

لا... لا أريد ان أعيش بعده! لماذا أعيش، أعطني سبباً!! كان كل شيء بالنسبةِ لي...كان شمسي...كان قمري... كان كل عمري...

وأخذت (فاتن) تذرف الدموع وهي تتنفس بصعوبة، فقد كانت ضعيفة لا تقوى على الكلام الكثير فلاذت بالصمت وأكتفت بالدموع تحكي عنها آلامها...

-آه! كم تؤلمينني بحديثكِ هذا! فاتن! إن كنتِ تحبيّن (فؤاد) حقاً، فعليكِ ان تدركي أنّه احبك للغاية، ولم ولن يرضى أن يراكِ تؤذين نفسكِ هكذا... أوَ يرضى من رعاكِ طفلةً وأحبك لمّا كبرتِ وأختارك زوجة واصبحتِ أماً لطفليه، أن تتركيهما وتختاري الموت وهما بحاجتك الآن...

كفى أنانية يا (فاتن) فكري بهما ... فكري بعائلتك... بنا... بي (أنا)... هل فكرتِ يوماً بي...

قال (أمير) ذلك وهو يخفف حدّة صوته في مقطعه الأخير عندما آلتفتت (فاتن) نحوه تنظر إليه بدهشه وذهول...

- رباه! كم ملامحك تشبه ملامح وجهه! أنتَ تذكرني به، وكأنه هنا... (أمير)... سامحني يا (أمير) ليس الأمر بيدي... أنا... لا أستطيع التوقف عن التفكير فيه... لا أستطيع تخيل حياتي دونه... لا أقدر... آه...

وتوقفت (فاتن) عن الكلام وأخذت تتنفس بسرعه...

- كفى... أرجوكِ... لاتُتعبي نفسك... هذا الإجهاد خطرٌ عليك... سأبقى بقربك ولن أغادر أبداً حتى تكوني بخير... لن أرضى لكِ أن تهملي نفسكِ، رغماً عنكِ سأرعاكِ... أتفهمين...

نظرت (فاتن) الى (أمير) بعتاب وأمتنان في آن ثم أغمضت عينيها لتخرج منهما الدموع ساخنةً حرى...

- من هي الفتاة الطيبة التي كانت والدتي تسميها (فراشة المنزل)!

هتف (أمير) وهو يحمل ملعقة الطعام بيده ليطعم (فاتن) فوق سريرها، بعد أن رفضت تناول الطعام من يد فرح فذهبت لتحضر عمها بسرعة... رفعت (فاتن) عينيها نحو (أمير) بخجل وشعرت بأحراج شديد...

- أرجوك (أمير)! لا تعاملني كطفلة!

- أنتِ طفلة صغيرة عندما تعاندين ولا تأكلين، فما العمل معكِ الآن سوى أن نحبّب لك الطعام مثل الأطفال!... أو ليست تصرفاتك هي الدافع لهذا...

- أنا لست طفلة يا أمير! هاتِ الملعقة والصحن! قالت (فاتن) بغضب وحنق وآحتقن وجهها حتى أحمرّ... نظرت (فرح) بسعاده وكادت أنْ تصفق فرحاً وهي تتبادل النظرات مع عمها الذي غمزها دون أن تشعر (فاتن) التي كانت تشتشيط غضباً من (أمير) ...

- دوماً ما تسمعني كلماتٍ تزعجني!

- إختصاصي هو إزعاج جنابك يا (بياض الثلج)! رفعت (فاتن) عينيها بدهشة نحو (أمير)...

فغمز (أمير) مبتسماً لها، كانت دائماً ما تسمعه يقول لها ذلك في طفولتهما ولما كانت مراهقة عندما عادت في عمر الثامنة عشر الى اميركا... إحمرت وجنتا (فاتن) خجلاً بينما أبتسم (أمير) سعادةً وقهقهت (فرح) فنظرت (فاتن) بغضب نحوها ورمتها بالوساده، فلاذت بالهرب...

- أكملي الصحن حتى آخره... لن أتركك حتى تكمليه! هل تفهمين!

هتف (أمير) بنبرةٍ آمره، فشزرته (فاتن) وهي تستمر بتناول الحساء ثم أبتسمت وضحكا سويةً...

- لاتزالين نفسك، لم تتغيري يا (فاتن) رغم مرور هذه السنين! إلهي! كم مرّ من السنوات منذ آخر مرةٍ رأيتك فيها... أصبحتُ (على مشارف) الاربعينات الآن...

- ألم... ألم تتزوج ياأمير!؟ ألم تعثر على فتاتك؟

- ماذا!

نظر (أمير) الى (فاتن) نظرة خاصة ثم لاذ بالصمت...

- كنت أقول... لقد مرّت سنوات طويلة... ستّ سنوات ربما، لا، لا، سبع سنوات تقريباً منذ... منذ طلقتك، بعد أن قضيت ليلة واحدة هنا... معكِ... على هذا السرير... كنتِ فيها مجرد أخت... قال (أمير) ذلك وهو مطرق برأسه إلى الأرض بينما (فاتن) قد تداركت إحراجها بتناول الطعام ولم تستطع رفع رأسها نحوه... تابع (أمير) بعد برهه...

- قولي لي يا (فاتن) ...

- ماذا!

التقتْ نظراتهما فشعرت(فاتن) بأحراج شديد... (إلهي! انه ينظر إليّ كما كان ينظر فؤاد!! رحماك يارب! ماذا افعل...) ...

- هل... فكرتِ بي ولو مرةً واحدةً طوال تلك السنوات التي مضت يا (فاتن) !

- ماذا!!

أسقطت (فاتن) الملعقة من يدها فوق الصحن وحارت جواباً... لاذت بالصمت بينما تنهد (أمير) وقام دون كلام، وهو يتلقف الصحن من بين يديها...

- لتعلمي يا (فاتن) أنيّ...

رفعت (فاتن) رأسها نحوه، فوجدته يحاول أن يقول لها شيئاً مهماً للغاية وهو ينظر اليها بعينين تذكرانها كثيراً بعيني(فؤاد) رغم انّ لونهما ليس مثل لون عينيه، عندما دلفت (فرح) للغرفة يتبعها (فارس) الذي هتف: -

- عماه! هل أكلتْ أمي فعلاً بفضل الله ووجودك! شكراًلله! عماه! أنت لن تغادر منزلنا ابداً! وهرع (فارس)، الذي أصبح بطول عمه وشبيهاً به، وبأبيه (فؤاد) بشكل أكبر، نحو عمه يحتضنه ويقبل وجنته ثم ارتمى فوق صدر والدته يحتضنها ويقبلها وهو يمرّغ رأسه فوق حجرها...

- أماه! ارجوك ان تعيشي لأجلنا! أنا أحبك ياأماه! من لنا من بعدك وقد فقدنا أبانا! أماه! نحن نحبك وبحاجة اليك... لقد تعذبنا كثيراً عذاباً مضاعفاً، فقد فقدنا أبانا، وفقدناك رغم وجودك... لم تعودي بيننا... لم نعد نلقاك تنتظريننا، ولا نجد دفء حضنك وروعة كلماتك ودفء وجودك! ارجوك... لاتؤذي نفسك لخاطرنا... نحن بحاجتك! قال (فارس) ذلك وهو يذرف الدموع فأحتضنته (فاتن) وأخذت تبكي معه وهي تعتذر منه بصوت حزين...

- سامحني يا حبيبي ...سامحني ياولدي الغالي...

- هل تعاهديني الآن امام عمي أن تأكلي وتعتني بنفسك كي تعودي بيننا من جديد... هيا قولي لي ياأماه! ارجوك...

- ولدي الغالي... لا أعرف ماذا أقول... ارجوك لا تضغط عليّ... انا لستُ بخير... كلما تذكرتُ والدك...

- أماه! ارجوك... انه والدنا... إنه أعزّ انسان بالنسبه لنا... لكنْ، لايمكن أن تسمحي لي بقتل نفسي... لأنني ابنك... هل تقبلين أن أفعل ما فعلتِهِ بنفسك... هل ستقبلين ان أعذبك وأنقطع عن الطعام أو أن أنتحر وأقتل نفسي بعد أبي!

- صه! معاذ الله! لاتقل مثل هذا الكلام! قالت بصوت حازم وبعصبية وهي تضع أناملها فوق شفتي (فارس) الذي أمسكها وأحتضنها بقوة...

- اذاً يا أماه! عيشي لأجلنا... ارجوك!...

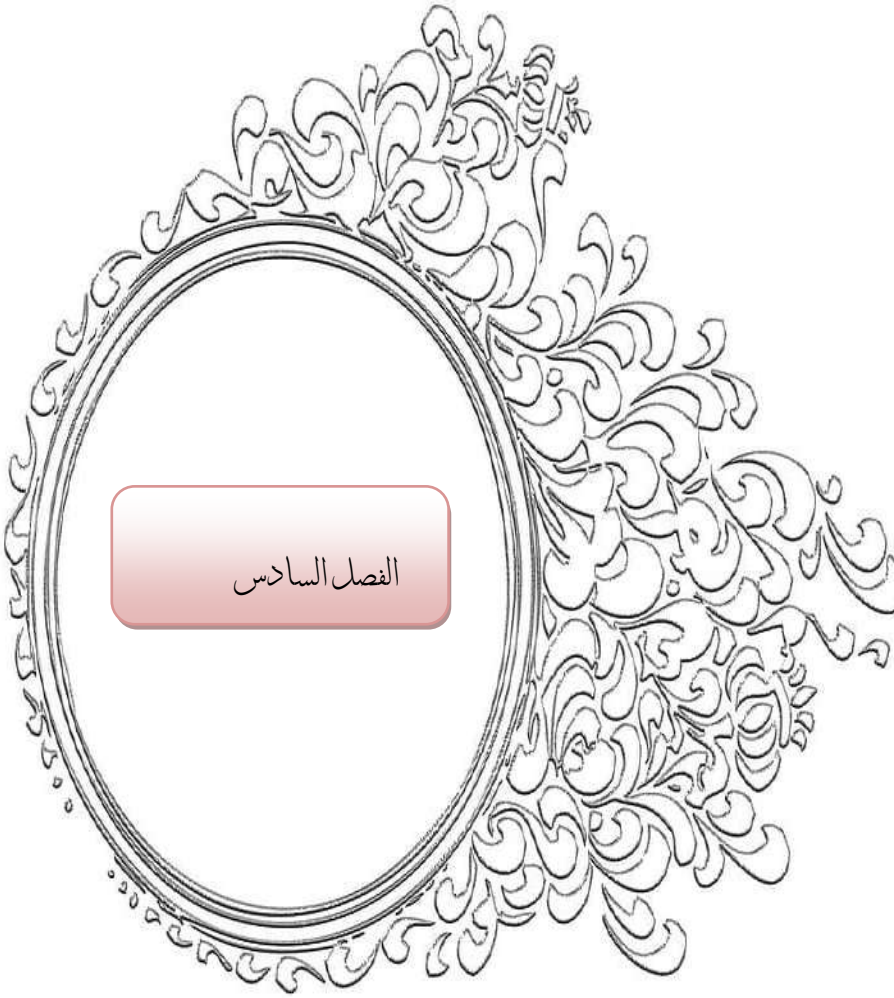
الفصل السادس

مضت عدّة أيام، قبل أن أستعيد صحتي وأستطيع العودة للقيام على قدميّ من جديد... كان (أمير) يحضر الطعام بيديه الى غرفتي فأضطر لتناوله احراجاً منه، بينما تجلس (فرح) الى جواري لترى ما أحتاجه...

وبذلك تحسنت صحتي، قررت المزول الى الطابق السفلي كي أتناول الطعام مع طفليّ، وأشعرهما بدفء الأسرة مرّةً أخرى وأنا اعدّ لهما ما يشتهيان وأتبادل معهما أطراف الحديث... إرتديت ثياباً جديدة دون مساعدةٍ من (فرح) في ذلك الصباح، ونظرتُ الى نفسي في المرآة فهالني مارأيت... لقد ضعفت كثيراً وأصبحت هزيلة للغاية حتى غارت عيناي السوداوان في وسط وجهي الأبيض الصغير...نظرت الى جسدي الهزيل وأبتسمتُ بسخرية ... (لو كان فؤاد هنا، ماذا كان ليقول على مومياء مثلكِ لم يتبقى منها سوى العظام والجلد!؟) ...

ذهبت نحو درج حجاباتي واخترتُ واحداً لعلمي بوجود (أمير) في المنزل... وهكذا فتحت باب غرفتي وهبطت السلم بتؤدة نحو الطابق السفلي، لكنني وبينما كنتُ أفعل ذلك، إذ شعرتُ بدوار شديد، ومالت درجات السلم تحتي، وكدتُ أسقط فعلاً لولا يدٌ قوية تنتشلني، وذراعٌ قوية أجدني أستند إليها فجأةً... إلتفتّ لأجد (أمير) قربي وهو يمسك بي بكل خوف وحنان، في آن معاً ناظراً إليّ بقلق...

- كان عليكِ أنْ تبقي في غرفتك عزيزتي(فاتن)! أنتِ لا تزالين ضعيفةً جداً...

نظرتُ اليه بامتنان، فقد كان من الممكن ان أسقط وأكسر رقبتي- ولو أنني لم اعد أبالي كثيراً بموتي أو حياتي- لكنه أنقذني مرةً أخرى... وتذكرت(فؤاد) لمّا أمسك بي ذات مرّه حينما كنتُ خائرة القوى، أحلم كل ليلةٍ بمنزل عمي وبزواجي الباطل من ابن عمي (حسام) وكيف هربت بأعجوبة بفضل الله من يد عمي وزوجه وابنه ... تذكرت (فؤاداً) لمّا أمسكني فوق سلم بيت خالتي وأسندني الى ذراعه القوية، فخفق قلبي له حباً، خاصة وعيناه الزرقاوتان، تنظرانني بحنان وخوف الوالد والصديق، والحبيب...

- شكراً لك يا(أمير) ... لقد كدتُ أسقط فعلاً...

هتفت وقلبي يعتصر ألماً...

- لا عليكِ يا (فاتن)... اهم شيء صحتك... أرجوكِ... هل اعيدك الى فراشك! ماذا تقولين...

- كلا أريد ان اجلس مع ولدي وابنتي، وأراهما يتبادلان أطراف الحديث، وأشاركهما حياتهما... لقد تعبا كثيراً ومرت أشهر طويلة وأنا بعيدةٌ نفسياً عنهما... يجب ان أعوضهما ما دمتُ قادرةً على النهوض يا (أمير)... أرجوك... ساعدني لأذهب إليهما...

- طلباتك أوامر عندي يا(فاتن)...

هتف (أمير)وهو يمسك بي بعناية ونزلنا سوية... ماأروع تلك اللحظات، وأنا أنظر الى ابنتي الغالية وقد أشرق وجهها سعادةً بوجودي وجلوسي قربها في الأسفل على الأريكة بعد ان تناولنا طعام الإفطار سويةً وكان يوم عطلة من الدوام، اجتمعنا فيه بسعادة، واخذ (فارس) يقصّ عليّ أحاديث مختلفة وكذلك (فرح) التي ظلت تحكي لي ماجرى معها خلال تلك الفترة كلها، وهي تبتسم بين الحين والآخر وترفع خصلات شعرها الشقراء بأناملها البَضَّة الطويلة... أما (فارس) فقد كانت عيناه تلتمعان بسعادة وهو يجلس الى جوار عمه الذي كان صامتاً يرقبهما وينظر إليّ بصمت ويبتسم لهما كلما نظرا إليه... كان (فارس) سعيداً جداً بعودتي لهما وجلوسي بينهما، هو وأخته... كم كان يشبه (فؤاد) في صغيرة...

لكن (أمير) كان يشبه (فؤاداً) أكثر في كبره ونضوجه وقد زاده العمر رزانةً ورجولة ووقاراً... عندما انتهت تلك الجلسة العائلية الجميلة، ضرب (أمير) على فخذه بيده وأعلن فجأة وهو ينهض عن الأريكة مقابلي...

- حسنٌ اذاً! لم يعد هنالك داعٍ من بقائي، ها هي (ماما) قد عادت اليكما، وألف حمدٍ لله على ذلك... اعتنيا بها جيداً...

- كلا يا عم! لماذا ترحل! ابقَ معنا رجاءاً...

هتف (فارس)، بينما نهضت (فرح) لتحتضنه وهي تقول مقبلّةً وجنته...

- انتَ أروع عمٍ في الكون كله... شكراً لعنايتك بأمنا، فلولاك لما عادت لنا...

- فعلاً أنا اشكرك يا أمير... ألف شكر...

قلت وأنا ادفن نفسي خلف كوب القهوة الكبير بين يديّ وكأنني بذلك أخفي وجهي عنه... لم أنظر الى عينيه لمّا نطقت بكلماتي تلك، لكنني رفعت رأسي اخيراً عندما قالت (فرح) لعمها...

- لكنْ! هل يجب عليك الذهاب! لماذا لاتمكثُ هنا معنا!؟هل تشعر بالانزعاج منا، اومن شيء!

- كلا! لكنّ ذلك لايجوز، وأعتقد أنه من الأنسب لي العودة الى عملي... اليس كذلك يافاتن! التقت نظراتنا، ففهمت أنهّ يتمنى لو انني أقول له أن يبقى... وكأنه ينتظر الأذن مني كي أدعه يمكث في منزلي... لكنني لم أستطع ذلك، ليس مع علمي بما يكنه من قبل لي من مشاعر، وليس مع عدم وجود أخيه في الدار، كان ذلك ضد مبادئي وما تعلمته من والديّ ومجتمعي الشرقي، عموماً والعراقي خصوصاً، حتى وأنا أعيش في أميركا وأختلط مع تقاليدهم وعادات مجتمعهم، لكنّ ذلك، لم يؤثر في أصالة معتقداتي وديني بشكل محدد... هتفت في سري...

(صحيح انني وإياه لم نعد صغاراً ولسنا مراهقين، ويمكننا التحكم بغرائزنا فنحن لسنا بحيوانات، لكنّ وجوده في المنزل دون وجود (فؤاد) أمرٌ شبه مستحيل بالنسبة لي...) ...

- أنا اشكرك من كل قلبي يا (أمير) وأتمنى لك التوفيق في عملك...

قلتُ ذلك وأنا أنهض وكأنني أسدد رصاصة الى قلبه، إذ بان التأثر في عينيه اللتين أبعدهما عني مباشرةً وهو يهتف بابن وابنة أخيه...

- مع السلامة يا حبيبيَّ... إتصلا بي أنِ احتجتما أيّ شيء...

- عن إذنك يا فاتن...قال جملته الأخيرة بفتور ومضى مسرعا بينما تبعته (فرح) مشيعةً إياه الى الباب الخارجي... نظر (فارس) إليّ معاتباً وهو يضع قدح قهوته فوق الطاولة الصغيرة امامنا...

- لماذا يا أماه لا تريدين لعمي البقاء معنا! لقد ساعدنا كثيراً، واعتقد إنك قد جرحتِ مشاعره قبل قليل، فهو كان راغباً بالبقاء قليلاً...

- (فارس)! انت لاتفهم... لقد تربيت في بيئة غريبة، وعاداتهم وطباعهم جدّ بعيدةٍ عما تعلمته أنا في وطني(العراق)... لايجوز بقائي مع رجل هو ليس زوجي او ابني لوحدنا في منزل واحد، تربيت على أنّ ذلك (عيبٌ) و (حرام) في آن معاً...

- اماه! ما هذا التخلف! هل تستمعين لنفسك! شزرت (فارساً) بسرعة وقد اشتشطت غضباً..

- أهكذا علمتك ثقافة الغرب، ان تجيب والدتك!

- أماه! ماذا قلت! أعتقد أنكما بالغان راشدان، وهو عمي، وليس غريباً أبداً... ماذا يعني بقاؤه هنا! أنا أستغرب حديثك ياأمي...

- لا أريد النقاش في هذا الامر يا (فارس)... سيظلّ عمكما طبعاً وسنستقبله في ايّ وقت... لكنْ، أن يظلّ هنا معنا، دون وجود والدكما أمرٌ مستحيل...

- لماذا يا أماه!

هتفت (فرح) وقد عادت من تحية عمها وتشييعه عند الباب الخارجي خارج الحديقة..

- حتى انتِ يا فروحة! ماذا دهاكما! أنا الآن امرأةٌ بلا زوج... كيف لكما السماح لعمكما بالبقاء هنا، أنا لا أفهم كيف تفكران...

- إنه عمي يا اماه! ولقد ساندنا في أزمتك النفسية، فأعتقد أنه كان من الأصول على أقل تقدير، السماح له بالبقاء قليلاً ولو ليومين بعد كلذ ما فعله معك!

- اعرف ذلك يا فرح، ولستِ انتِ من سوف تعلمني (الاصول) أتفهمين...

أحمرّ وجهي غصباً وأخذت أرتجف حنقاً، وأنا أتحدث...

- أماه! كفى! نحن آسفان... دعيها يا (فرح)، ارجوك، لقد نهضَتْ من مرضها للتو... اتركيها!

الفصل السابع

(حبيبي فؤاد) ... أين أنت...

أخذتُ اكتب لـ (فؤاد)... مذكرات يومية، أحكي له فيها عمّا يمرّ بي كل يوم وما أشعر به وهو بعيدٌ عني، وكيف أني لم أعد أستطيع الذهاب الى العمل، وكيف أني أصبحت بحاجة الى النقود لأنّ انقطاعي من الدوام كان بدون راتب، ولم يكن (فؤاد) متقاعداً من عمله كي أعطى تقاعداً علاوةً على أنّ عمله كان بعقد مع الجامعه، وبذلك لم أحظ بأيّ نقود، ووجدتني قد صرفتُ كلّ النقود التي كانت تحت متناول يدي، مما ادخرتُ من راتبي وراتب(فؤاد)من قبل، كما قمت بسحب كلّ ما ادخرته في المصرف لأجل تسجيل (فارس) في الجامعه التي تقدم لها ودفع أقساط العام الأول، بينما صرفتُ مبلغاً كبيراً كي أحتفل بتخرج (فرح) وعيد ميلادها كي لا أشعرها بأي تغيير في مستوى معيشتنا بعد فقدان أبيها...لكنّ كل ذلك أضنكني وأرهقني، ووجدتُ نفسي مفلسة في إحدى الصباحات وأنا أراجع حساباتي وأتصل بالمصرف ظناً مني، أنّ هنالك مبلغاً إضافياً... لكنّ كل ما وجدته هو إفلاسي من كل نقود... دفنتُ وجهي بين يديّ... وشعرت بالدنيا تدور حولي، فكّرت في حلٍّ سريع فـ (جاء أمير) بسرعة الى ذهني، كأسرع حلٍّ وأضمن من أستطيع ائتمانه...

رفعت سماعة الهاتف فوق مكتب (فؤاد) في غرفتنا حيث كان يحلو لي الجلوس يومياً وأنا لقرأ في كتبه وأرتبّ اغراضه كفرضٍ يومي دون أن أعلم لماذا؟

فكرتُ بسرعة وأنا أطلبُ رقمه، أنّه مدينٌ لي بنقود شركتي، التي لم أعد أستلم شيئاً منها، وأنْ أنسى كرامتي وكبريائي قليلاً لأجل طفليّ وأسرتي...

رفع (أمير) سماعة الهاتف في الجهة الأخرى وكان في مكتبه في شركتنا المشتركة التي أستلم رئاسة وإدارة شؤونها...

-نعم! فاتن! هل أنتِ بخير!

كان مجرد اتصالي به – كأنه إشارةٌ الى حاجتي له – وأنا التي لم أكن أريد إشعارهُ بحاجتي لأحد، كوني أعلم يقيناً ما يكنّه تجاهي من مشاعر... ولأنّ مشاعري كلها كانت لفؤاد وحده ولم أستطع أبداً أن أعطي (أمير) اية فرصةٍ ليحلّ محله...

- نعم، أمير! إنها انا فاتن... نعم، أنا بخير...وسكت عن الكلام بينما ظلت أنفاسي تتقطع لثوانٍ...

- نعم (فاتن)! قولي ماالخطب، هل أنتِ بخير... هل تحتاجين مساعدةً ما... قولي لي، هل أنتِ بحاجةٍ للنقود! تكلمي دون إحراج، ارجوكِ!

- نعم... (قلت بعد تردد) وتابعت...

- أحتاج مبلغاً من المال، لو سمحت... وكشفاً بحسابي، لأنك لم تعطني نسبتي من الأرباح خلال الأعوام السابقة ولم نتحاسب على شيء منذ اخر مرة...

- فاتن! أنتِ تعلمين أني اشتريت حصتك في الشركة منذ سنتين، وما كان لكِ من نسب أرباح، كنتُ احولّه مباشرةً لحسابك في المصرف...

- حقاً! نعم... لقد نسيت حقاً أنك أشتريت حصتي في الشركة وأصبحت باسمك بشكل نهائي... نعم، نعم... صدقني، انني مشوشةُ البال...

- سأتي اليك يا فاتن! هل أنتِ بخير...

- كلا! كلا! لا داعي... لا شيء يذكر... شكراً لك على اية حال يا أمير... أنا اعتذر عن إزعاجك حقاً!

- فاتن! انتظري... كم تحتاجين من نقود! كلميني!

- وداعاً ياأمير! شكراً لوقتك... لا أحتاج شيئاً! وأقفلتُ السماعة لأدفن وجهي فوق المكتب وأنتحب... شعرت بفؤاد واقفاً خلفي وهو يمدّ ذراعيه ليحتضنني بحنان كما اعتاد... شعرت بأنفاسه فوق رقبتي... (رباه! كم أشتقت إليك!) هتفت في سرّي بينما رفعتُ رأسي من فوق المكتب أكلم صورته المؤطرة فوقها وهو يبتسم حاملاً إياي وأنا طفلة صغيرة... كانت تلك الصورة أثيرةً لديه ولديّ أنا على وجه الخصوص... كم أحببت تلك الابتسامه التي ارتسمت على وجهينا، كانت ابتسامة براءة وسعادة لا يشوبهما شيء... تنهدتُ بألم وأنا أتخيل (فؤاد) يراقصني أمام السرير وقد شغل أغنيه رومانسية أجنبية لا أعرف ترجمتها، لعلها رومانية أو أسبانية، أو إيطالية... كان (فؤاد) مطلعاً على اللغات ويعرفُ علاوةً على انكليزيته الاصلية واللغة الفرنسية، كلاً من اللغة الإيطالية والألمانية... هذا بالإضافةِ الى العراقية التي تأصلت في جذوره كونه الابن البكر لخالتي (رحمها الله) ...

لقد كان (فؤاد) كل شيء في حياتي، ورغم صدمتي الأخيرة به وأنا أراه يقبّل تلك المرأة عند عتبة دارها- رغم انني لم أرَ جيداً من بعيد (كونه احتضنها فقط أم قبلّها كذلك) - لكنني رأيت وجهها يختفي خلف منكبيه العريضين، وذراعيها تلتفان حول عنقه... كلمّا كنتُ أستذكر تلك الصورة، ينقبض قلبي ويعتصر ألماً... فـ (فؤاد) لم يكن مجرد زوج بالنسبة لي... كان أباً حنوناً يعلمني كل شيء، وأستشيرهُ في كلِّ أمور حياتي...

عندما كنتُ أخطىء في شيء، كان يلومني، ولكنّ لومه وتقريعه كانا كما لو فعل الأب لابنته دون استهزاء أو تنكيل، بل بحبٍ وعتابٍ أبويّين... لقد علمني الكثير وأنا أسير معه خطوةً بخطوة كأستاذةٍ جامعية...

كيف لي أن أنسى توجيهاته، كيف أتحدث مع الأساتذة، وكيف أتعامل مع هذا المرؤوس أو كيف أتجنب تلك الزميلة، أو عندما يمرّ موقف معين مع طلابي، ماذا أعمل؟ الخ من الأمور التي كان هو أكثر خبرةً مني بها بكثير...

كان (فؤاد) أخاً... يدافع عني، ويراقب كل شخص يحاول التقرب مني، فيدفعه كأسدٍ ثائر بنظراته الحادة الخارقة... وكان زوجاً رحيماً لا يكلفني مهمات شاقة، بل يساعدني في اغلب الأوقات لمّا يراني متعبة، ولم يكلفني يوماً ما بأمر من أمور المنزل مطلقاً...

فلطالما كان يذهب بثيابه الى الغسالة بنفسه فأتلقفها منه بسرعة وأنا أهتف به أن لا يفعل ذلك مجدداً... عندما يريد الخروج بثياب جديدة، كان يمسك المكواة وبدون علمي- ويبدأ بكيّ ثيابه، فأهرع إليه صارخةً وأنا أدفعه عنها، فلا يرضى ذلك لي وهو يهتف...

- فاتن! اذهبي لرعاية طفلينا، ذلك تعبٌ كافٍ...

- فؤاد! لن ادعك تكوي ثيابك! عيبٌ عليّ ذلك...

- حبيبتي! أنا لا أفكر مثل الشرقيين حتى لوكان والدي واحداً منهم، وطوال عمري وأنا اعتمد على نفسي في هذا الأمر... إتركيني أساعدكِ... عندك أعمال كثيرة... ماذا دهاكِ، إذهبي!

- مستحيل!... لن أدعك! كنتُ في منزل والدتك ووالدك رحمهما الله، أكوي ثياب (أمير) و (هاني)... وكانا يفرحان بذلك، فكيف تريدني الآن أن لا اكوي ثياب زوجي الغالي! هه... ماهذا!...

- حبيبتي! أنا مقتنع بما أفعله...

- إبتعد فوراً! هيا...

إذهب وأشرب قهوتك... وأدفعه دفعاً عني... كان فؤاد... والداً رائعاً... يستمع لفرح كل يوم وهي تقص عليه ما يحدث لها في المدرسة، ويستمع لفارس وهو يحدّثه عن الأولاد المشاغبين الذين يؤذونه في المدرسة، ويعلّمه كيف يتصرف معهم... كيف لي أن أصف (فؤاد)... بكيتُ وأنا استذكر كلّ ذلك، عندما رنّ جرس باب منزلي...

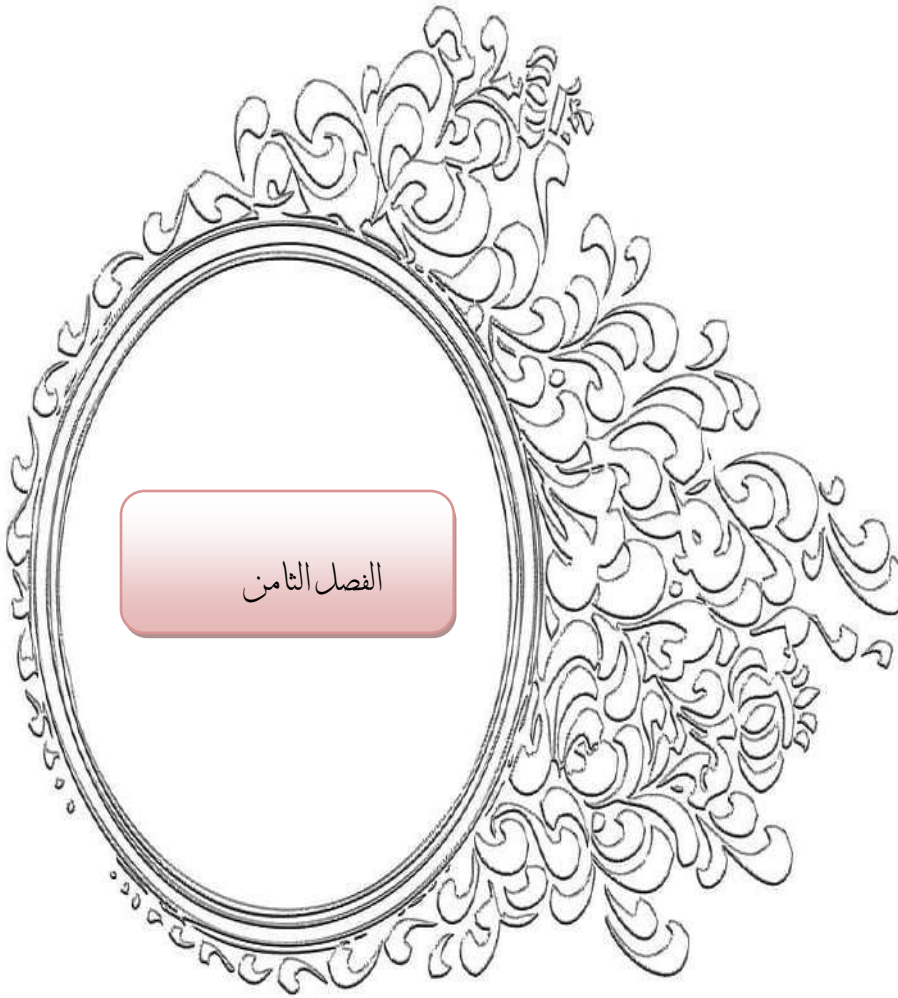
الفصل الثامن

فتحت الباب وتسمرتُ في مكاني... كان هو واقفاً هناك يرتدي معطفاً أسود يزيد وسامة طلته وفوق عينيه نظارات سوداء وشعره الأشقر منسدلٌ على كتفيه... (لقد أطال شعره هذه المره)، هتفتُ في سري وأنا ألاحظ نمو لحيته الشقراء وشاربيه الكثيّن... لم يكنْ (أمير) يطيل شعره من قبل ولا يعتني بلحيته، ولم يكن يحبّ الشوارب أبداً كـ (فؤاد)... ذهلتُ أولّ وهله وظننتُ أنه ليس (أمير) حقاً عندما خلع نظارته وبانت عيناه السوداوان خلفهما وهما تنظران إليّ تلك النظرة الخاصة التي أخشاها...

-كيف أنتِ يا بياض الثلج!!

هتف (أمير) وهو يبتسم أبتسامة صفراء فاترة وخيبةُ أملٍ ترتسم في نظراته، فنظرتُ إليه بحزن وأنا ألتفتُ إلى أكياس البقالة بين ذراعيه وعلى الأرض....

-ماهذا كلّه يا (أمير)!

- لقد جلبتُ بعض الفواكه وأغراض الطبخ في طريقي، حسبتُ إنك، ربما... تحتاجين بعضاً منها يا (فاتن)!!

قال (أمير) ذلك وهو يطرق بنظراته إلى الأرض... لقد مرّ عامان منذ تركنا بمباركةٍ شخصيةٍ مني... كان قد أتمّ الأربعين وزاد عليها بقليل، فلم يزده ذلك إلا رجولةً وبهاء طلّه... نظرتُ إليه محرجةً من موقفي، فأنا التي طلبتُ النقود منه... حاولتُ الكلام، لكنّ الكلمات ماتت عند شفتيّ... وأخيراً قطع هو حبل الصمت...

-حسنٌ! هل سأظلّ واقفاً هنا، أم تسمحين لي بأدخال هذه الأكياس الى مطبخك؟

- آه! نعم! طبعاً! أنا آسفة يا (أمير)، لا أدري ماذا دهاني! أنا... أعتذر جداً...

قلتُ وأنا انحني نحو الأكياس التي على الأرض، فاعتَرضَ (أمير)عليّ وناولني الكيسين اللذين بين ذراعيه، وكان فيهما لحم مقطع، وقال هاتفاً بي...

-سأدخل أنا بقية الأكياس... خذي هذه...

تناولت الكيسين منه وأنا محرجةٌ للغاية، بينما دلف هو خلفي الى المطبخ ليدخل بقية أغراض التسوق التي جلبها معه... كانت الساعة قد قاربت الحادية عشر صباحاً، لم أكن قد طبخت، لعدم وجود مأطبخه فعلاً!!... شعرتُ بالسعادة وأنا أرى ثلاجتي تمتلئُ بأنواع الفواكه والخضراوات مرةً أخرى... إلتفت (أمير) إليّ وهو يضع محتويات الكيس الأخير في درج الثلاجة السفلي الزجاجي الشفاف... هتف ضاحكاً...

-حسنٌ... أرجو أن يكون هذا كافياً لهذا اليوم وإن احتجتِ أيّ شيء، فأرجو أن تتصلي بي..

-آه! نعم...

قلتُ بأحراج وارتباك... توقفنا عن الكلام لثوانٍ عندما هتف (أمير) معلناً ذهابه...

- حسنٌ... سأذهب إذاً!

لا أدري لماذا ناديته فجأةً وأنا أشعر بالذنب تجاهه:

- أمير!!... هل لديك عمل ما، لتذهب مسرعاً!

- ماذا!

نظر إليّ مندهشاً ووقف لا يلوي على شيء، عندما عادَ إليّ وهو يمدّ يده بين طيات معطفه ليخرج مجموعة أوراق نقدية مدّها باتجاهي...

- (فاتن) لقد نسيت! يالحماقتي!... خذي هذا المبلغ... أنتِ تحتاجين شراء مستلزمات لفارس وفرح...

- كلا! ماذا! لاأريد نقوداً منك! لا...

نظر (أمير) إليّ بعتاب وهو يضع النقود على الطاولة أمامه... هتف بصوت يشوبه الحزن...

- إنها ليست لكِ، إنها لفرح وفارس، إبنةِ وإبنِ أخي! عن إذنك... سأذهب الآن... هل تحتاجين شيئاً من السوق، أخبريني لأجلبه لكِ فوراً...

- كلا!... لكن... تمهّل... أمير!

ناديته وهو قرب الباب يسرع بالذهاب وكأنه يسرع بلملمة ماتبقّى من كرامته المبعثرة، فلقد جرحتُ مشاعره برفض أخذ النقود منه... لكنْ... كيف لي أن آخذ نقوداً منه؟ كان ذلك صعباً للغايةِ عليّ...

- ماذا هناك!

هتف وهو يخلع نظارته مرةً أخرى ويضعها فوق جيب معطفه ملتفتاً برأسه فقط إليّ بينما جسده كله يهتف بضرورة الأسراع بالذهاب بعيداً عن هذه المجنونةِ المتكبرةِ التي تمثلني (أنا)!!

- هل لديك عمل، أم يمكنك الأنتظارُ حتى عودة (فرح) و (فارس)، سيفرحان برؤيتك! و.... كذلك... ريثما أحضر طعام الغداء، لو أردت البقاء... سيسعدني ذلك!؟

- حقاً!

إلتفت (أمير) بكلّيته نحوي ووقف لا يلوي على شيء... ران صمتٌ بيننا، قطع حباله فجأةً صوته وهو يهتف...

حسنٌ! كنتُ قد جلبتُ معي أشرطة قديمة من ذكرياتنا معاً، صورها (فؤاد) وأحياناً (هاني)! كنتُ أريد مشاركتك، مشاهدتها... لو... أنك احببتِ ذلك!

شهقت بألم وأنا أتلقف الأشرطة:

- منذ زمنٍ بعيد! لقد وجدتُ شريطاً واحداً قديماً صوّره (فؤاد)، وفي المرآب، بين أغراضه القديمه وعثرت على جهاز عرض تلك الأشرطة وعثرت على الكاميرا التي كان يصورنا بها في منزل الشجره! هل تذكرهُ يا (أمير)! يا ترى! هل لا يزال هناك! آه! كم أشتقت لمنزل خالتي! وقفزت دمعتان من مقلتيّ بينما أقترب (أمير) منيّ وقد وضع يده فوق كتفي مربتاً عليه...

-آه يا فاتن! ما أروع تلك الذكريات! نعم! سآخذك إلى منزل شجرتنا يوماً ما!! هنالك أناسٌ لا نعرفهم قد أشتروا منزل والديّ، ذلك صحيح، ولكنْ، لا بأس إن مررنا وشاهدناه! إن رغبتِ بذلك...

- سيكون ذلك رائعاً! لكنْ، اتظنّ أنه لا يزال قائماً! أمير! لقد ساعدتني بعد... فقدان (فؤاد) وقد أخذتما حصتكما أنت وهاني فيه... لكنْ... أو تعلم كم شعرتُ بالندم لأني بعته!!... إنّ فيه ذكرياتنا... وبكيتُ دون أن أعلم، فأبعدت وجهي عن (أمير) الذي أسرع باعطائي منديلاً، وقال بصوت حنون...

- كفى يا فاتن! ليس الأمر بيدك... لقد أردتِ توفيرَ النقود لأجل ذرية (فؤاد)! عزيزتي (فاتن)هيا بنا، لنشاهد شريطاً نستذكر به أيام الطفولة! سوف تنسين حزنك! هيا، هيا...

وهرعتُ معه كطفلةٍ، أتبعهُ... دلفنا الى الصالة حيث وضعتُ جهاز (فؤاد) القديم لعرض الفيديو... فتح (أمير) غلاف الشريط ووضعه داخل الجهاز بعد أن شغله، وجلس على الاريكة قبالته، بقربي، حيث جلست ونظرنا الى الشاشة وعينانا متعلقتان بحماسة الأطفال إذا دخلوا صالة السينما للمرة الأولى...

ظهر (أمير) مع (فؤاد) يلعبان لعبة (الطاولي) العراقية فوق منضدةٍ صغيرة في صالة منزل خالتي قرب المطبخ الصغير حيث كنا نجتمع دوماً فوق مائدته عندما كنتُ أطبخ وأصبّ الطعام لأبناء خالتي وأنا أشعر بالسعادة كوني أساعد خالتي وأعينها في اعمال المنزل...

هتف (فؤاد) وهو يرفع رأسه باتجاه (هاني) الذي كان يصوره مع (أمير)...

-ماذا تفعل! آه! فاتن... شكراً على الشاي...

تناول (فؤاد) كوب الشاي مني بينما هتف (أمير) بي...

-تعالي والعبي معنا، لنرى من الفائز...

- أنا! كلاّ!

ظهرتُ فجأةً في الفيديو وقد ركزّ هاني) التصوير عليّ هذه المرة.. كم كنتُ صغيرةً غضةً حينها!! لم أكن قد دخلتُ الكلية، لكنَّ (فؤاداً) علمني اساسيات لعبة (الطاولي) مع (الشطرنج) والورق... كانوا يلعبون الورق بينهم دون رهان للتسلية...

أخرج (أمير) فجأة الأوراق وأغلق (لعبة الطاولي)، وصاح بي ان أجلس وألاعبهما، فانصعتُ إلى الأمرِ بسرعة... وزع الأوراق وأعطاني حصتي منها... نادت خالتي فجأةً وظهرتْ في الفيديو، فأخذت الدموع تسيل من عينيّ برؤيتها ولما نظرتُ الى (أمير) وجدته يبكي أيضاً وهو ينظر إليّ... تابعنا النظر الى الفيديو ونحن نكتم أحزاننا...

- هيا يا كسالى! كفاكم لعباً... أمير! يامحتال! ألم تقل لي أنك سترمي كيس النفاية! من سيخرجها الآن! هيا أسرع... وماذا عنك يا مصور العائلة! أخذت الوراثة من (فؤاد)! ماهذا... هيا، أسرع وأغسل صحون العشاء...أنا متعبة وأريد النوم...

- خالتي، لاتغضبي حبيبتي! انا سأغسلها...

- أها! هذه فائدة بنت الخالة! أنظري يا أماه!

هتف (هاني) خلف الكاميرا دون ان يُظهر وَجْهَهُ بينما ابتسم (فؤاد) ساخراً، فجأةً ضَربت خالتي (بينما كنا نلعب) - (أميراً)- على رقبته من الخلف وهي تصيح به:

- وماذا عن كيس النفاية! هل ستجعل (فاتناً) ترميه أيضاً يا كسول!

- ماما! ماما! انتظري، لاتتعصبي عليّ... سننهي هذه اللعبة وأذهب، صدقيني! حسنٌ! أنا اقترح اقتراحاً! إن فازت (فاتن) عليّ في (الورق) الآن، سأرمي القمامة حالاً وإن فزتُ أنا عليها، لن أرمي ايّ قمامةٍ بعد الآن... ماذا تقولين، أمي الحبيبة!

- قم! قم يا كسول!

- خالتي! فقط، فقط دقائق! سترين كيف أفوز عليه! أعرض اوراقك الآن هيا!

- طبعا! لم لا...

وهنا ركزّ (هاني) الكاميرا على وجهي وكان (فؤاد) أمامي ينظر إليّ، فغمز لي بعينه اليسرى... لأنّه قد علمني كيف ألعب قبل ذلك ودربني على الاحتفاظ بورقة (الملكة)... عرض (أمير) أوراقه... عرضتُ له ورقتي فصاح بغضب...

- ذلك غش! لقد علمك (فؤاد) أن تغشي! أووه!

- إنهض! هيا! هيا بسرعة! الى العمل!

هتفت خالتي وهي تحمل ملعقة الطبخ الكبيرة لتضربه بها على ظهره فأخذ يقفز متأوهاً...

-أماه! كفى، كفى! والله سأخرج... سأخرج القمامة... ماما! لا، لا...

وبقينا نضحك عليه في الفيديو فانفجرنا بالضحك فعلاً، أنا و (أمير) ونحن نستذكر تلك الذكريات الجميلة... أوقف (أمير) الفيديو ونظر إليّ بحزن... توقفنا عن الضحك وأدمعت عيناي حزناً...

-ياليت تلك الأيام تعود يا (أمير)!

- نعم! ياليتها يا فاتن!

تبادلنا النظرات لثوان قبل أن أعلن بصوت حازم...

-رباه! لم أطبخ شيئاً وسيأتي (فارس)و (فرح) معه!

- إجلسي! سأتصل بخدمة (الدلفري) للاكلات السريعة، لا أريد أن تطبخي اليوم، دعينا نكمل المشاهدة...

- ماذا! لكنْ!...

- أنا أقول لك لاأريد الآن... أطالبك بـ (دولمه) عراقية كتلك التي كانت تصنعها أمي (رحمها الله) ...

- الله يا (أمير)!

وجلستُ ثانيةً وعيناي تدمعان وهتفت بسعادة...

-سأعملها خصيصاً لك! لقد اشتقت فعلاً لطبخها، وفرح وفارس لا يشجعانني على الاطلاق كي اطبخها، فهما لا يحبّانها... إنهما ليسا مثلنا يا (أمير)، فلقد تربيّا تربية المجتمع الأمريكي وفقدا معظم عادات أهلنا...

- نعم! أعلم ذلك!

هتف (أمير) بصوت واثقٍ رخيم، بينما ضغط زراً لمتابعة عرض الفيديو مرةً أخرى...

ظهر (أمير) في الفيديو هذه المرّة وهو يتسلل خلفي وكنتُ جالسةً إلى جوار (هاني)، أمام الحاسوب، وهو يريني شيئاً ما، عندما باغتني (أمير) من الخلف بالصراخ فجأةً، ففزت من فوق الأريكة مذعورةً وصحت مستنجدةً بخالتي بينما تعالى صوت قهقهة (فؤاد) علينا وأنا أركض خلف (أمير)... كم كان عمرنا إذذاك؟ كنا صغاراً... أخذت أركض وألفّ وأدور حول الارائك و (أمير) يهرب مني بينما (فؤاد) يضحك بصوت مكتوم لكنهّ سرعان ما انفجر ضحكاً وقد صورني أُسقط (أمير) على الأرض وأخنقه بيديّ وأنا أقول له أنْ يكفّ عن مضايقتي، بينما يتظاهر(أمير) بالموت ثم يقلبني على الأرض ويقفز فرحاً ويهرب بعيداً...

تحول الفيديو فجأةً الى لقطات قديمه أخرى وجدتني فيها فوق مهر صغير و (فؤاد) يكلمني أسفل منه ممسكاً باللجام بينما كنتُ خائفةً وأنا أمسك رقبة المهر بذراعيّ الاثنين...كان المكان إسطبلاً واسعاً في منطقةٍ ريفية... تذكرتُ ذلك المهر الصغير، وقد كان هديةً من (فؤاد) لي في عيد ميلادي الحادي عشر قبل أن يحلّ عيد ميلادي بأسبوعين وأكثر...

-آه كم احببتُ ذلك المهر!

هتفت ودموعي تنهمر... كان (أمير) قد ظهر في الفيديو فجأةً وهو يكلم فؤاداً راكباً على حصان كبير اقترب من مهري وقام بتشجيعي ان لا أخاف كي أمتطي المهر كما يفعل هو تماماً... فجأةً ظهر (فؤاد) في الكاميرا وهو يصور نفسه... كان لا يزال شاباً في العشرينات من عمره... (آه كم كان وسيماً...) هتفت في سرّي وقلبي يخفق...

-هنا! لقد ذهبنا في نزهة احتفالاً بقدوم عيد ميلاد (فاتن) عن قريب... ولنريها المناظر الطبيعية الجميلة في سان فرانسيسكو... ولسوف نذهب بعد هذه الجولة وشرائي هذا المهر لها، إلى (رَصيف ٣٩)، ثم نركب في يخت ونستمتع بمنظر البحر...

وفجأةً، ظهرت فتاةٌ تركض باتجاهنا وهي تنادي بسعادة بصوت يتقدّ حماساً، بينما (هاني) يقود فرساً...

-رباه! إنه انت! فؤاد! عزيزي! هل جئت لزيارتي!

-أووف! هووبا! فلنرحل بسرعة ياأولاد! هاني، هيا!

قال (فؤاد) وهو يصور نفسه مرةً أخرى ليظهر الأمتعاض في وجهه من قدوم تلك الفتاة التي لم أستطع تذكرها على الأطلاق... بينما هتف (أمير) بسخرية...

-أووه! إنها (ريبيكا)!! صديقة(فؤاد) الأولى...

-ماذا!؟

هتف بدهشة فارتبك (أمير) وشعر أنّه قد نسي وجودي قربه وهو يتفاعل مع أحداث الفيديو...

نظرت إلى (أمير) وغيرتُ نظراتي المندهشة إلى نظرات واثقة وقلتُ وأنا اصطنع أن يكون صوتي طبيعياً قدر الأمكان...

-أنا أعرف عن صديقات (فؤاد) وأعلم انه كان لديه معجبات كثيرات... لكنّ سؤالي هو لماذا لم يصدّهنّ!

-أووه يا فاتن!

هتف(أمير)بسخرية ثم أضاف وهو ينظر إليّ بعتاب...

- تعرفين (فؤاد)كان يهرب منهنّ دونما جدوى!! هنّ من كنّ يقدمن على عرض أرقام هواتفهن له ويتوسلنَ له كي يتصل بهنّ ويلتقي معهنّ... أنا أعرف ذلك، صدقيني، لأنني كنتُ دوماً أمين أسراره...

- حسنٌ إذاً! هل يمكنني ان أسألك شيئاً دونما إحراجٍ يا (أمير)، كونك أخاه، وأمين أسراره...

هتفتُ وأنا أحاول ان لا يرتجف صوتي وأن لا تتغير ملامح وجهي وتعابيره...

- قولي يا (فاتن)... أنا بخدمتك! إسألي ماشئت...

- حسنٌ! لا أعرف كيف أصف لك أو أبدأ سؤالي... لكنْ، هل تعرف إحدى صديقات (فؤاد) الأميركيات والتي كانت تدعى (جوليا)!! متزوجة ولها مشاكل مع زوجها!

- ولها شعر احمر وعينان زرقاوان!

- لاأعرف عن عينيها شيئاً ولكن، ربما، نعم!... شعرها أحمر، نعم، نعم! هل تعرفها!

- لماذا تسألين، هل يمكنني ان أعرف يا فاتن؟!!

- أمير! إنها هي المرأة التي عثروا على جثتها!

- نعم! أعلم ذلك، وقد أعلنوا عن ذلك في التقرير في الجريدة... ولذلك أسألك... لماذا تسألين...

- أمير! كانت هي...

وبكيتُ فجأة، ثم تابعت...

- هي، هي من ذهب (فؤاد) إليها تلك الليله!

- عرفتِ من الجريدة طبعاً، لكنْ يجب أن لاتصدقي كل ما يكتب في الجرائد!...

- كلا يا أمير! انا أقول لك ما لا يعرفه احدٌ الاّ الله وأنا، وأنت الآن فقط!

- ماذا ... لقد أقلقتني!

قال ذلك وهو يضغط على أنامله ويشد قبضتيه قبالة بعضهما بين ساقيه مصغياً بأمعانٍ إليّ...

- كان زوجها هناك، ولقد لاحق فؤاداً ولاحقها! أنا أعرف ذلك جيداً... لقد، لقد... كنتُ هناك، أتبع فؤاداً!

- رباه!

زفر (أمير) بدهشه ثم هتف...

-هل كان (فؤاد) يقابل (جوليا)! معقول!!

وأنا أكفكف دموعي هتفت بأمير...

- كلا! لاتفكر أني كنتُ أعمل شيئاً خاطئاً! لقد، لقد كان يلتقي بها، وتتصل به! صدقني يا(أمير)! هل تصدقني!... لقد قال لي (إنه صديق قديم ساعده على الحصول على علاوته)، بينما الحقيقة أنها هي (جوليا) التي كانت تتصل به ولقد عثرت على رسالة غراميه منها له في جيب سترته ولم أتكلم أبداً أمام (فؤاد)... (أمير)! لقد كان... كان يخونني! وبكيت بألم فنهض (أمير) من فوق أريكته وأقترب مني ليضع يده مربتاً على كتفي...

- (فاتن)! إصغِ إليّ...إسمعيني جيداً عزيزتي... إصغِ...

رفعتُ رأسي من بين يديّ ونظرتُ الى (أمير) ودموعي تسيل على وجنتيّ وكليّ إذانٌ صاغيةٌ له...

-أنتِ نعرفين أني لن أكذب عليكِ مطلقاً! وتعرفين أنّ أغلب صديقات (فؤاد)، كنّ على تواصل معي... ليس كلّهن، لكنْ معظمهنّ... أنا أعرف كل شيء...

-حسنٌ! نعم... أعرف نوعاً ما، ذلك... لاأدري!

- أرجوكِ، إصغِ إليّ... (فؤاد) لم يحبب يوماً فتاةً أبداً ولم ينظر لفتاةٍ أبداً كما أحبك ونظر إليكِ... أقولها لك بكل يقين وعليكِ تصديقي!! لا أقول ذلك كي أريح ضميرك أو أجعلك تعتقدين بعدم خيانته؟ كلا!! صدقيني... لكنني متاكدٌ أنّ (جوليا) كانت هي من تحوم حول (فؤاد) وانّه كان يسايرها لأجل الترقية لاغير... لكنْ... أن يكون لها خليلاً! مستحيل! لاأصدق هذا! ولو رأيتهما معاً! كان (فؤاد) لا يطيق تصرفاتها... وكمْ من مرةٍ تورددت هي فيها إليّ... ولقدْ حاوَلَتْ كثيراً معي ومَعَ (هاني) أيضاً، وبشتى الطرق، أن تجعل أحدنا صديقاًحميماً لها... لكنّ(فؤاد) كان يصدّها دوماً، صدقيني! أستطيع ان أقسم لك...

- أو حقاً ماتقول! أو حقٌ ما يقول! لكنْ لماذا كان يناديها بـ (حبيبتي) وصديقتي الغالية! لماذا...

- لربما كان يجاريها ويسايسها لمصلحته! من يدري! لكنْ، لو قلتِ لي على اسم أي إمرأةٍ سواها، فسأقول لك (ربما)، فعلاً، هنالك احتمالية ولو لواحد بالألف... لكن... (جوليا)! لا لا... مستحيل!

- وأين تعرَّفتْ على (فؤاد) خبرني!

-أووه! فاتن! قصة طويلة... قلتُ لك... كنّا نضحك عليها نحن الاخوه، ثلاثتنا، لأنها حاولت مع كل واحدٍ منا على انفراد، وهي لاتعلم أننا نعرفها حق المعرفة... وأنا لا ألوم زوجها إن حاول قتلها، فهي تستحقّ فعلا مصيرها المشؤوم!

- و (فؤاد)! ياالهي... ذهب ضحيةً لها!

بكيتُ بألم فأمسك (أمير) بيديّ فجأةً فتوقفت عن البكاء ونظرتُ إليه بجديةٍ مشوبه ببعض الخوف...

-أرجوكِ لاتبكي أمامي... أرجوك (فاتن)... أنا لا أقوى على احتمال دموعكِ... إرحميني يا (فاتن)!

-أنا... أنا أسفه حقاً... سأذهب لأعمل الغداء!

- كلا! لقد اتفقنا! فاتن! سأطلب طعاماً! أريد منك عمل طعام خاص لنا في الغد... ما قولك؟

- طبعاً... حسنٌ (وشعرت بارتباك شديد) ... أكيد!

الفصل التاسع

تمنيتُ قدوم (فارس) سريعاً بعد تلك المحادثة، لأنّ إمساك (أمير) ليديّ أربكني للغاية وجعلني لا أعرف كيف أتصرف...

شعرتُ بأحراجٍ شديد، واعتذرتُ منه أنّ عليّ الذهاب قليلاً في أمرٍ خاص، فأسرعتُ الى الحمام وأغلقتُ بابه وأنا ألهث وأنفاسي تتصاعد وقلبي يخفق سريعاً... (ماذا أفعل؟) ... كنتُ أشعر بأعجاب (أمير) بي بكلّ نظرة منه وحركة والتفاتة... غسلتُ وجهي أمام مرآة الحمام وأمسكتُ المنشفة بسرعة ونظرتُ الى نفسي في المرآة...

(أنقذني يارب!!... أنقذني... لا أعرف ماذا أفعل الآن...) ...

- فاتن! هل أنتِ بخير! أين انت...

فتحت باب الحمام ومددتُ رأسي لأقول له أني هنا، وأنني بخير... قدم بسرعةٍ نحوي...

- ماذا جرى، عزيزتي (فاتن)، هل أنتِ الآن بخير!

- نعم! نعم!... أنا بخير...

- أعرف شعورك! صدقيني... مشاعرك متناقضه تجاه (فؤاد)... لكنْ... أنا أؤكد لكِ أنه لم يحبب سواكِ...وأين له، أن يجد مثلك... أنتِ... أنت يافاتن...

فجأةً تغيرَّتْ نبرة صوت (أمير)وهو يقترب مني ليضع ذراعاً فوق باب الحمام وذراعاً أخرى على الجدار امامه، بينما كنتُ أُطلّ أمامه عبر تلك الفتحة الصغيرة بين الباب والجدار، فشعرتُ أني أصبحت مجرد عصفورةٍ تواجه صقراً!! وتذكرتُ نفس الموقف مع (فؤاد) في منزل خالتي قرب غرفتي فأمتقع وجهي وارتجفت...

- أمير! ماذا هناك...

- (فاتن)!! أنتِ تعرفين... أنا يافاتن...أنا...

ووضع أنامله فوق وجنتي ومررها عليها بينما أخذت أعضاء جسدي ترتجف بكليتها... أخذ يهمس بصوتٍ رخيم ملئ بالحنان والحب...

- أنا أعشقك يا فاتن! أنتِ تعلمين، أو لعلكِ لا تعلمين... لكنني أتمنى أن أعيش ولو ظلاً لك، ولو خادماً عندكِ، ولو... تحفةً تحتفظين بها قربك... المهم، أن أكون قربك... (فاتن)... سأظل أحبك إلى الابد، وأنتِ تعلمين بحبي لك... أنا أعرض الزواج عليكِ... أتمنى ان توافقي... أتمنى ان أحظى ولو بجزء بسيط من حبك، حتى وإن كان (فؤاد) يستوطن قلبك، وكل كيانك، فأنا لن ابالي بهذا، لأنه اخي الأكبر، وسيظل حبه بقلبي كذلك... لكنْ... ارجوكِ... دعيني أكون جزءاً من عائلتك... دعيني أكون ولو جزءاً بسيطاً تنظرين إليه بعطفك وتغدقين عليه حنانك وحبك... أرجوك يا فاتن!حبي لك لم تغيّرهُ السنون، وأنا لم أستطع أن أنساكِ مع كل مامررنا به، (فاتن)... يا بياض ثلجي! أرجوكِ... فكري قبل أن تقتليني الان فوالله، أنا أقسم لك، أنكِ لو رفضتني الان، فلقد حضرّت لنفسي شيئاً كنتُ منذ مدّة، وقبل أن تتصلي بي فجأةً، قررتُ بكلّ قناعةٍ وبعد تفكير وإعادة نظرٍ في الأمر أن أفعله...

-أمير! ارجوك! ارجوك... إبتعد أرجوك...

كان قد ضمني في تلك الاثناء إليه ولفني بذراعيه...كانت أنفاسه الساخنه لاهثة تكاد أن تكوي وجهي... فجأةً أخرج من جيب بنطاله شيئاً أسود ووضعه على رأسه، ولمّا رفعتُ رأسي وجدته مسدساً فصرخت...

-أمير! كلا! ماذا تفعل...

-إنه معبّأ بالرصاص... هل تودين أن أريك... وفتحه بضغطه من أنامله بيدٍ واحدة ليُظهر لي مخزن المسدس ثم أعاده الى مكانه... أخذت أرتجف بعنف...

- أمير! أتوسل اليك... أنت مجنون!

- نعم! أنا مجنون... بحبّك سأجنّ... أولا تشعرين بي!

قال مكشراً عن أسنانه وهو يضمني بذراعه الأخرى بقوةٍ أكبر، بينما يده الثانية قد أمسكت بالمسدس موجهاً إياه الى رأسه...

- ماذا تريد الان ياأمير! سوف تدفعني للجنون! قل!

- أريد ان تفكري في أمري! هلا فعلتِ...

-سأفكر، حسنٌ... سأفكر ياامير... أعدك انني سأفعل! ارجوك... كفى... أتوسل اليك...

-حقاً ستفعلين! حقاً!

أخذت عيناه تدمعان ورفع رأسه الى اعلى ثم أمسك برأسي يقبّله ووضع المسدس في جيبه مرةً أخرى بعد ان أغلق صمام الأمان، وضمني إليه بذراعيه كلتيهما...

-فاتن! سأجعلكِ أسعد امرأة، أعدكِ، لو وافقتِ...

كان يلهث وصوته يتهدج متقطعاً، بينما قلبي يخفق بسرعة وأنا أحاول الإفلات من بين ذراعيه...

-أمير! سيأتي طفلاي، هلاّ ابتعدت الان...

-ماذا! انا! أنا... حقاً...

ونظر اليّ وأنا بين ذراعيه، وكأنّه كان في غيبوبةٍ ولم يكن يعي ماذا يفعل قبلها، إذ شعرتُ وكأن عقله قد عاد إليه فجأة وهو يبعدني عنه ويطرق الى الأرض...

-أنا أسفٌ حقاً! أنا، قليل الذوق والأخلاق...

- كلا يا أمير! ارجوك ان تجعل قسمات وجهك طبيعية امام (فارس) و (فرح)... هذا رجائي منك فقط!

هتفتُ وأنا انفض عن نفسي كلّ ما شعرت أنّه من الممكن ان يبعدني عن طفليَّ أو يجعل صورتي سيئةً في نظرهما... أطرق (أمير) الى الأرض وحار جواباً، عندما قلتُ له ذلك بسرعة بينما جلس هو في الممر الداخلي، لا يلوي على شيء... شعرتُ أنه ضعيف جداً ولم أفهم وأنا أستذكر كيف جثوت عند ركبتيه أتوسل إليه أن لا يؤذي نفسه...

- أمير!!! لم يعد أحدٌ يهتم بي او بطفليّ سواك يا ابن خالتي الغالية... ارجوك... لاتؤذي نفسك... أعدك اني سأفكر في ما عرضتَ عليَّ...

نظر (أمير) إليّ واغرورقت عيناه بالدموع:

- عزيزتي!! أشكرك لأنك سمعت ما أريد؟!! و (أمير) بانتظارك... هلاّ تسمحين لي بجلبه في المرة القادمه لكِ... خاتم الزواج!!

الفصل العاشر

عندما عاد (فارس) و (فرح) سويةً... (فارس) من جامعته، و (فرح) من عملها، فرحا غاية الفرح بعمهما وأخذا يتبادلان العناق معه والقبلات والأحاديث الشيقة بعد ذلك، وجلسنا معاً كأسرةٍ واحدةٍ عند مائدة الطعام بعد أن جاء عامل توصيل الطعام الى باب منزلي... شعرتُ بسعادةٍ خفيه تتسلل الى قلبي وأنا أرى ضحكات (فرح) وفارس وسعادتهما بوجود عمهما على رأس الطاولة المقابل لي... كان (أمير) ينظر إليّ بين الفينه والأخرى، نظراته الخاصة تلك فأطرق بسرعه ولا أبادله أية نظرة...

في اليوم التالي، وبعد أن الحّ كلٌّ من (فارس) و (فرح) على مكوثه معنا في المنزل، قام (أمير) بجلب (معدّات) أكلة (الدولمه) التي كان مشتاقاً لها، هو وأنا على حدٍّ سواء، فقمتُ بطبخها لأجلنا كلينا...

كانت هناك أمورٌ معطلة في منزلي، فصنبور مياه الحمام لم يكن محكم الأغلاق، وما كان لدّي المال الكافي لأجلب (السمكريّ)، وكذلك، كانت هنالك عدّة مصابيح تحتاج التبديل بينما سياج الحديقة الجانبي قد تهدّم وبحاجةٍ للترميم منذ قام جارنا بضربهِ بجهاز جز العشب دونما قصد فانهار جزءٌ منه ولم يصلحّه أحد... وكذلك نافورة مياه الحديقة، قد عطلت ... لقد لاحظ (أمير) كلّ تلك الأمور دون أن أتكلم وعمل على إصلاحها طوال النهار بينما كنتُ أطبخ وأعمل في المنزل... فشعرتُ في سريرتي، أني ممتنةٌ له للغاية...

قمتُ بعمل طعام الغداء بمفردي وآستمتعت بطبخ (الدولمة العراقية) التي لم أذقها منذ زمنٍ طويل... ربما قبل أن أفقد فؤاداً منذ أعوام ثلاث أو أكثر من ذلك...

كان (فؤاد) فقط من يحبهّا أما (فرح) وفارس فلطالما شاكسانا عندما أعملها بعمل إضرابٍ عن الأكل حينها!

جلسنا سويةً عند الغداء بعد أن اتمّ (أمير) أعمال المنزل كلها في الصباح قام بتصليح أنابيب المياه بجلب (السمكري) وأعاد ترميم السياج وعمل كلّ شيء بسرعةٍ رهيبة... لم يجلس ولم يرتح أبداً ولقد شعرتُ أو بالأحرى ادركتُ في سريرتي أنه تعّمد عدم البقاء في المنزل (بمفرده معي)- إحتراماً لي، كونه يعلم أني لا أرضى بذلك ولا استسيغه ابداً...

عندما جاء (فارس) من جامعته، وتبعته أُخته من عملها في المدرسة الثانوية كمدرّسه للغة الفرنسية، جلسنا سويةً عند مائدة الطعام، فشعرتُ بالسعادة لألتئام شمل عائلتي مرّةً أخرى وبالأخص وأنا أرى فرحاً و فارساً يتبادلان المزاح والأحاديث مع عمهما بسعادةٍ فائقة... كم شعرتُ أنهما بحاجةٍ لذلك الحنان الأبوي في تلك اللحظات خصوصاً وأنا أرى فارساً يختلي بعمه بعد الغداء ويتحدثان بمفردهما بينما قدّمت (فرح) لهما الشاي بالهيل (على الطريقة العراقية الاصلية)... وجلستُ معها نرتشف الشاي وأنا ارقب عيني ولدي الحبيب اللتين تذكرانني بحبيبي الأوحد (فؤاد) وهما تلتمعان سعادةً وبهجة...

لقد شعرت بموجه أمان وطمأنينة تحلّ على منزلي فجأة...لم أعد أشعر بالخوف من المجهول، لكنّ خوفي الأوحد ظلّ يترصد بي وعدتُ الى التفكير فجأة بمصيري ومصير (فرح) و (فارس) بدون عمهما... فلا نقود قد بقيت ولا مورد مادي معتمد...

إمتعضت في سرّي وأنا انظر الى (أمير) ولم أستطيع أن أتخيل نفسي زوجاً سوى (لفؤاد)... شعرتُ (فرح) باستيائي المفاجيء فهتفت بي وهي تضع قدحها جانباً..

- ماما! ما الذي تفكرين به! قولي لي فوراً...

- حبيبتي... لاشيء... مجرد خاطرةٍ سيئه طردتها من بالي..

- حسناً فعلتِ... عودي معنا وأبعدي كل فكرة سيئه!

نظرتُ الى فرح وتصنعّت السعادة والأبتسام... لكنني في سرّي كنت في صراع تام... (هل أعود الى الدوام؟!)...

مكث (أمير) معنا... لكنّه لم يكن يمكث بمفرده معي عندما يخرج (فارس) للدوام وكذلك (فرح)، إذ أنه يذهب الى العمل بدوره... لكنّ متطلبات المنزل المادية، وأجور وفاتورة كلٍّ من الماء والكهرباء والضرائب، قد تمّ دفعها جميعا من قبل (أمير)... الذي كان يسافر الى عمله كل عدة أيام ويعود إلينا مجدداً... كان (فارس) يطلب منه نقوداً تتعلق بأغراض يجب عليه توفيرها لدراسته في الهندسة...

كان (فارس) يحبّ الهندسة كـ (عمه هاني)، وبهندسة الحاسبات قد تخصص... لم يعد (فارس) يطلب من نقوداً مما آلمني وأشعرني بالدونية وأنا التي كنتُ ألبيّ له كل احتياجاته...

الفصل الحادي عش

إعتادت (فاتن) بعد ذلك تردد (أمير) على منزلها والتفاف (فرح) و (فارس) حوله وكأنه (والدهما) !! بينما لاحظت مقدار الحنان والحب الأبويّن اللذين كان (أمير) يغدقه على آبنها وآبنتها مما كان يبهج قلبها ويسعد روحها الحزينه على فراق (فؤاد)... مرّ شهران ونقل (امير) عمله الى مسقط رأسه مرةً أخرى كي يبقى قريباً من سان فرانسيسكو إلى (لوس انجلس) لمتابعة أعماله هناك...

لم يحدث (أمير) فاتناً خلال ذينك الشهرين عن موضوع الزواج ثانية فشعرت (فاتن) بالأمان نزعاً ما، لكنّ خوفاً دفيناً في قلبها، ظلّ شاخصاً أمام ناظريها كلما شاهدت (أمير) يجلس في الصالة بمفرده بعد أن يصعد (فارس) و (فرح) الى غرفتيهما، أو عندما يتبادلان هي وإياه اطراف الحديث... لكنها في سريرتها أدركتْ انّ (أمير) لا يريد أن يضغط عليها وأنّه يريد لها أن تأخذ وقتها الكافي لتقرر ماذا تريد... كانا يتحدثان لو انّهما لازالا في منزل العائلة، حيث قضيا شطراً من عمريهما معاً... بدأت (فاتن) تعتاد وجود (أمير) في حياتها، بل وكأنه قد أصبح فرداً أساسياً فيها... يجلب لها ما تحتاجه من السوق ويعطي (فارساً) مصروفه الجامعي وكلّ ما يحتاج اليه، بل ويذهب مع (فرح) لشراء ما تحتاج إليه من ثياب و إكسسورات- كون راتبها لم يكن كافياً لسدّ آحتياجاتها وهي التي آعتادت العيش الوفير ومستوى المعيشة الراقية. لمّا كان والدها بقربها ولدى والدتها مصدر مادي ثابت...

كانت (فاتن) تقدّر كلّ ما يفعله (أمير) بصمتٍ دون أن يؤذيها أو يُلزمها بضرورة الموافقة على الزواج منه... أصبحت تستند عليه عند الحاجة وتلتجئ إليه من بعد ربها، لشعورها أنّ هنالك (رجلاً حقيقياً) قربها، يرعاها ويرعى ذريتها... جلسا في تلك الأمسية كالمعتاد على الأريكة أمام التلفاز... قدمت (فرح) لوالدتها وعمها قدحي القهوة وجلست قربهما...

هتف (أمير) وهو ينظر الى (فاتن) بسعادة...

-أنظري علام عثرتُ اليوم في أغراضي...

- علام عثرت يا أمير!

هتفت (فاتن) بصوت يضجّ حماسةً فنهض (أمير) ليجلس قربها ويفتح أمامها (البوم صور)، ما أن رأته (فاتن) حتى شهقت بفرح وفزع في آنٍ معاً...

-رباه! إنه ألبوم صورنا الذي كان عند خالتي!

-نعم ! إنه كذلك...

- دعني أرى يا أماه!

تلقفته (فرح) وأخذت تقلب صفحاته... أخذت تضحك وهي تجلس بين (أمير) و (فاتن) وهما يوضحان لها من هم الأشخاص في تلك الصور القديمه...

-لا أصدق أنّ هذا أبي ! الله! كم كان صغيراً ووسيماً! ماما! لا... لاتقولي لي إنها أنتِ! مستحيل! أنتِ هنا، طفلة صغيره جداً بالنسبه لوالدي! وكأنك آبنته!

هتفت (فرح) بدهشة، فنظرت (فاتن) إليها بعتاب...

- كان أبي وحبيبي وزوجي وكلّ ما أملك في هذه الدنيا!

قالت (فاتن) ذلك بألم بينما هتف (أمير) ب (فرح) وهو يقرصها من ذراعها قرصةً خفيفه..

- إقلبي الصفحة لتريني هنا... نعم، هكذا... هذا أنا!

- لا... ياالهي! هذا أنت ياعماه! (ضحكةٌ مكتومه)... رباه!

- ماذا! هل فيذ شيء ما... أولا أعجبك مثلاً!؟

- لا، لا... لكنك كنت مختلفاً جداً... باالهي! هذه جدتي!

- رحمها الله!

صاح (أمير) و (فاتن) معاً... نظرا لبعضهما وأطرقا...

- حسنٌ، لمَ لا نعرضان لي بعضاً من شريط الفيديو الخاص بكما... ذاك الذي تحدثتما دوماً عنه...

قالت (فرح) ذلك وهي تنهض لتضع الشريط في جهاز عرض الفيديو قرب التلفاز أمام والدتها وعمها، وبسرعة ضغطت على زر العرض بيدها وهي تقف مقابل الجهاز، فأخذ الشريط يعرض أحداثه المصورة...

- فرح! حبيبتي، ماذا بك...

صاحت (فاتن) بآبنتها وهي تراها واقفةً أمام الجهاز لا تتحرك ولاتقول شيئاً.. هرعت نحوها مع (أمير) فشمرا كلاهما أمام المشهد الذي رأياه...

كانت ذكرياتٍ لفؤاد وهو يحمل (فرح) لمّا كانت طفلةً صغيرة في الخامسة من عمرها، فوق كتفيه بينما هي تضرب بيدها على رأسه ضاحكة، سعيدةً بوالدها الذي كان يركض بها على طول الشاطئ حتى اقترب من الكاميرا وتحدث امامها..

- فاتن! خذي (فرح) وأعطني الكاميرا لأصركما...

- حسنٌ! أعطني حبيبتي...

وظهرت (فاتن) في التسجيل المصور، ترتدي حجابها وجلبابها وهي تجلس فوق قطعة قماش وضعت سلة طعام قربها..

- من هي حبيبتي الجميلة...

صاح (فؤاد) في الفيديو... اجابت (فرح) بصوت ملائكي..

-أنا....

- خطأ!... إنها... إنها... ماما!

- اووه! فؤاد! الطفله المسكينه!

- لا أحبك يا بابا!

- لا لا... أنتِ حبيبة (بابا) وليس (فؤاد)... (آنفجر بالضحك)

ضغطت (فرح) زر التوقف المؤقت ونظرت الى والدتها وعيناها مغرورقتان بالدموع، إلتفتت نحو عمها مطرقةبسرعة وهي تهتف وقد آبتعدت عن عمها ووالدتها لتخرج..

- عن إذنكما... أنا خارجةٌ من هنا، أريد الذهاب الى غرفتي لأنام... تصبحان على خير!

- حبيبتي (فروحة)!!

حاولت (فاتن) آحتضانها، لكنها أسرعت بالهرب...

- دعيها يا (فاتن)! ذلك من حقها!

قال (امير) وهو يضع يده على كتف (فاتن) ليوقفها...

- لكن! من أين جاءت بهذا الفيديو! نحن لم نراه، لا أنا ولا أنت!

- نعم... لكنني لم أستعرض كل محتويات الفيديو آخر مرّه... إنّ فيه الكثير ممّا خزنته الكاميرا...

- نعم! لقد ذكرتني... كانت هنالك كاميرا في العليه، لم أعرف كيف أربطها هنا لتعرض ما صورته لنا... كان فؤاد قد صورنا بها منذ أيام الطفولة ...

- اين هي... دعيني أربطها لك...

- آه... أين وضعتها... نعم، نعم... ها هي ذي!...

قالت (فاتن) وهي تلتفت فجأة بعد أن آنحنت اسفل الجهاز لتبحث في الدرج أسفل الطاولة الخشبية التي حملت التلفاز والجهاز معاً اعلاها...وما إن وجدت الكاميرا والتفتت بغته حتى صارت مقابل امير، ودون أن تقصد آصطدمت به وكادت أن تقع فأمسك بها (امير) بقوه وضمها إليه...

- هل انتِ بخير!

هتف (امير) بينما أطرقت (فاتن) بخجل وقد أبعدت نفسها بسرعة عن صدر (أمير) وذراعيه...

- نعم! أنا بخير... شكراً لك...

ساد صمت رهيب بينهما ولم يتحدث (أمير) مطلقاً..آرتجفت (فاتن) وشعرت بقشعريرةٍ تسري في كل جسدها..

- عن إذنك ... سأذهب للنوم...

لم يجبها (أمير) ولم يعترض... تناول الكاميرا منها بصمت...

ذهبت فاتن الى غرفتها في الطابق العلوي بينما حمل (أمير) غطاءه وتدثر به فوق الاريكة كما اعتاد أن يفعل كل ليلة... لكنّ النوم هجره... لم يستطع ان ينام، اذ شعر ببركان يستعر في صدره... شعر بضيق شديد .. تقلب ذات اليمين وذات الشمال... تلك الاريكة لم تكن مريحةً له اثناء تقلبه... لقد توسل (فارس) إليه أن ينام في غرفته، لكنّ (امير) أبى ذلك... وكذلك توسلت (فرح) لعمهّا أن ينام في غرفتها فتذهب هي للنوم قرب (فاتن) لكنه أبى...

كان (امير) يحاول آستدرار عطف (فاتن)، بنومه فوق الأريكة، ولم يكن في سرّه يرغب في مشاطرة غرفةِ أحدٍ (سواها هي)...

نهض نحو المطبخ وأشعل مصباحاً جانبياً منخفض الاضاءه..فتح الثلاجة وأخرج علبة حليب بارده... عندما أغلق بوابة الثلاجه، وجد فاتن جالسة عند مائدة الطعام وبيدها قنينه ماء صغيره...

- آه! فاتن! أنتِ هنا منذ متى!

- منذ دقيقتين! ماذا جرى لك! هل أنتَ بخير! أمير!؟ لعلك غير مرتاح فوق الاريكة؟!

- لا ... لابأس بذلك... لكنّ النوم هجرني ولذلك جئتُ لأشرب قليلاً من الحليب، كوني قد عطشت للغايه...

- وكذلك عطشتُ انا، ولذلك جئت للمطبخ... هل تريد قليلاً من هذه المياه المعدنيه!

- لا، لا! شكراً لك يا فاتن...

- سأذهب للنوم الآن.. تصبح على خير... هل أنت متأكد أنك مرتاحٌ في نومك على تلك الأريكة...

هتفت (فاتن) وهي تنهض فأذا بها تجد (امير) يصدّها عن الخروج من المطبخ وقد وضع ذراعه أمام فتحة الباب...

- نعم ! إنّ الاريكة تؤذيني كثيراً!

هتف وهو ينظر (فاتن) نظراتٍ تستعر ناراً...

- مابك يا (امير)! ماذا جرى!

- ماذا جرى! لا أعرف ... أنتش من يجب أن تخبرني!

رفعت عينيها نحوه فقرأت مغزى كلامه، وأطرقت بسرعة...

- نعم... فهمتك... أمير! أنا...اعتذر ياأمير منك، فأنا عاطله... لا أصلح لأحد... أنا محطمةٌ ولا يمكنني أن أكون لك أو لغيرك... أرجوك... إنا لا أريدك أن ترحل ولا أريدك أن تحزن... لنبقى كما نحن، صديقين، وآبني خالة، وعمّاً لفرح وفارس يفرحان بوجودك بيننا دوماً...

- وماذا عنيّ وعن مشاعري يا فاتن! ألم تفكري بي! هتف (امير) بألم...

- أنا مجرد نكره! إنساني... إنس ذكري يا امير... أرجوك!

- رباه! إستمعي لكلماتك!

- تصبح على خير ياأمير...

وبسرعةٍ ورشاقة، هربتْ من تحت ذراع أمير التي كان قد أسندها الى الجدار، وتسلقتْ السلم صعوداً بخفة فراشة، أو غزاله... لكنها لم تعلم أنّ ذلك (الأسد) كان قد لحقها بسرعة حتى حال بينها وبين دخول غرفتها... إذ وضع ذراعه أمامها...

- نعم! أنت لم تخبريني جوابك!

- ماالذي جرى لك ياأمير! أرجوك... لقد أفزعتني! تصبح على خير، رجاءاً!

دفعته بسرعة وحاولت إغلاق الباب، لكنّ أمير دفع الباب بقوة سقطت (فاتن) على إثرها على الأرض، وبسرعةٍ أمسكها من ذراعيها ورمى بها فوق سريرها ونظر اليها وهي تتنفس بسرعة وقلبها يخفق بذعر، غير مصدّقةٍ ما يحدث معها، وهي تتوسل إليه بنظراتها أن لا يفعل ما هو بصدده ..

إذ هَمهم بصوتٍ كالزئير المكتوم وعيناه تتطايران شرراً وألماً غيضاً...

- سنرى الآن مدى عطبك وعدم صلاحيتك يا (فاتن)!

في الصباح... نهضت (فاتن) لتنتحب فوق وسادتها نحيباً صامتاً... وجدت نفسها فوق سريرها، تحت الغطاء، وقد غادره (أمير) عند أولى تباشير الصباح كي لا يرى نظراتها ولا تتألم هي برؤيته...

كتب لها رسله صغيره فوق الوسادة الثانية قرب وسادتها... (آسفٌ جداً... لن تريني بعد بلآن، وداعاً)... أخذت (فاتن) تنتحب بصوت حزين بينما غرزت أظافرها في وسادتها بقوة... تاهت الأفكار وتلاطمت في رأسها، فلم تعد تعرف ماذا تفعل... لقد قاومته بكل ما أُتيت من قوة، لكنها لم تستطيع أن تصارع أسداً أو فهداً قوياً فهي مجرد غزاله ضعيفه آستسلمت بعد حين... زاد نحيبها وهي تستذكر ما جرى لها...

حاولت كتم صوتها كي لا تسمعها (فرح)، أو يشعر (فارس) أنها تبكي... لملمت شتات ذاتها المبعثرة وحملت نفسها إلى الحمام لتغسل (عارها) وهي تصرخ بين جدرانه المبطنه بألم وجنون... تكررت (اللقطات) في ذهنها فزاد نحيبها بينما كلماته وصوته وأنفاسه كأنها دبابيس توخزها من أعلى رأسها حتى أخمص قدمها... كانت تشعر أنّ هنالك ألف نحلةٍ تقرصها في كل أنحاء جسدها ... سقطت على أرضية الحمام مغشياً عليها ماء الرشاش ينهمر قربها ويملأ حوض الاستحمام حيث سقطت...

وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها ملقاةً فوق حوض الاستحمام وقد فاض الماء منه وذهب الى فتحة التصريف سريعاً، في موجات متتالية، ظلت تراقبها دون اكتراث وهي تدور و تدور وتنصرف بعيداً في الفتحات بينما جسدها قد غطس تماماً في مياه الحوض وكان رأسها فوق مقدمته وقد خرج من شعرها دمٌ لوّث أصابعها عندما وضعت يدها فوق رأسها لتتلمس مكان الألم... علمت (فاتن) عندها أنها قد أغمي عليها وآرتطم رأسها بمقدمة الحوض الذي فتحت رشاش الماء عليه حتى آمتلأ وفاض...

وآستذكرتْ فجأةً ما حدث معها... فأخذت تبكي مرةً أخرى...

الفصل الثاني عشر

(كم مرّ غيابك يا أيها الغالي)... هتفتُ في سرّي وأنا أنظر الى المرآة وأتلمس التجاعيد التي بدأت تخط خطوطها أسفل عينيّ... لم أبلغ الأربعين بعد، وكنتُ لاأزال امرأة الثلاثينيات ، لكنّ فقدان (فؤاد) أثرّ فيّ بمقدار كبير، وكأنني كبرت عن عمري عشر سنين وأكثر أو هكذا كنت أتصور... لم أخبر أي أحدٍ عما جرى لي، ولم بتصل (أمير) ابداً، ولم يظهر.. إتهمني (فارس) بطرده، ولامتني (فرح) ولم تكلمني... لكنني كنتُ أبكي في كل ليلة بمفردي وأنا أسترجع آلامي لوحدي...

كنت أناديه في كل ليلة وأتخيله وهو يضمني الى صدره بحنان الأب والزوج المثالي، وهو يخبرني أنّ كل شيء سيكون على مايرام... (هل الآن كل شيء، أيضاً يا (فؤاد) سيكون على مايرام! كلا! أنا... أختنق، أنا... أختنق)... وبالفعل، فقد كنتُ أستيقظ مختنقةً في كل ليله بعد تلك الليلةِ الرهيبه، لا ظاستطيع التنفس وأذهب الى شرفة غرفتي، أفتح نافذتها على مصراعيهما وأظلّ أشهق في محاولة نيل أكبر قسطٍ من الاوكسجين... كلما حاولت النوم، أستذكر ما فعله (أمير)بي، فيهجرني النوم، وأظلّ دونما وعي مني أستذكر همساته وصوته وكيف شدني من ذراعيّ عنوةً ورماني على سرير أخيه... (كيف فعلتها أيها الحقير!؟)...

كنتُ أهتف في سرّي وأبكي بألم حتى أعضّ وسادتي من فرط التأثر... أنفاسه اللاهثة ظلت تلاحقني وكلما آستذكرتُ كلماته، كنتُ أشعر ببركان يكاد ينفجر من داخلي فأريد أن أتخلص من نفسي بأية طريقة، كي تنتهي آلامي...

(لقد تجاوز غيابك عني السنوات الثلاث... دخلت في العام الرابع يا فؤاد... أين أنت... دلني عليك! قلبي يناديك وفؤادي يشعر أنك لاتزال حياً يا فؤادي... أحبك، ولن أحبّ سواك أ يها الغالي، فأنتَ حبيبي الأوحد، الذي رزقني الله إياه ... كيف طاوعك قلبك أن تموت بعيداً عني... كيف طاوعت المياه ذراتها أن تقتلك وتُميتك ... لا! لاأصدق! لاحياة لي بعدك... أنا حقاً الآن نحبسه...انا اللآن لست طاهره... لست نقيه... لقد أصبحت ملونه... بأنفاس (امير)ورائحة (أمير) و (جسد) (أمير)... أصبحتُ مجرد (فاسقه)... لن أعيش بعدك وبعد هذه الوصمة ابدًاً! انا أودعك الآن أيها الغالي... إن عدت يوماً ما، فلسوف تجد رسالتي هده... وإلاّ،فأني أتمنى أن يجمعني الله بك في حياة أخرى... حبيبي، انا اريد اللّحاق بك الآن وليسامحني الله، فأنا يجب أن أتطهر!)...

أغلقت الرسالة ووضعتها على الدرج قرب سريري، وأمسكت علبة الدواء الخاصة بتهدئة الاعصاب، والتي وصفها لي الطبيب أول فقداني لفؤاد، فأخذت أبتلع حبةً تلو الأخرى، وحبةً تلو الأخرى دونما خوف أو شعور بالذنب، كأس الماء جواري، أبتلع منه بعد كلّ حبةٍ مايكفني ... نظرتُ الى سقف سريري وتذكرت كم شعرتُ بالأمان بين أحضان (فؤاد) الغالي، وكم كنا سعيدين معاً تحت ذلك السقف... ذرفتُ الدموع، واستغفرتُ ربي، وطلبتُ منه أن لايذهب بي الى النار، وناديته في سرّي وأنا أطلب الغفران والسماح...

((أرجوك يارب، أنا لا اعترض على حكمك، بل أنا قانعةٌ به، راضية... الاّ انني لا استطيع العيش بعيداً عن حبيبي الذي وهبتني إياه... أعلم انه ليس من حقي ذلك، فأنت الواهب وأنت المانع، لكنني أصبحتُ غير طاهره ، ولم أعد أحبّ نفسي مطلقاً... ليس لي هدف لاحيا ولاأشعر ان لحياتي مغزى او معنى...(فرح) قد كبرت واعتمدتْ على نفسها ولن تحتاجني كثيراً، (فارس) اصبح رجلاً... سوف ينسانني مع مرور الزمن ...سامحني ياربي... خذني إلى (فؤاد)!))...

ونهضت لأنظر اخر شيء الى صورته الموضوعة فوق المكتب والتي تضمني معه، وكانت أجمل واثر صورةٍ لدينا سويةً... رفعت الصوره التي كنا نضحك فيها معاً، في أجمل لحظاتٍ جمعتنا مأب وابنه وكحبيب وحبيبه، كنتُ فيها صغيره وهو لا يزال شاباً في بداية العشرين من عمره ... قبّلتُ صورته بحبّ وشوق وثم وضعتها فوق صدري، وأنا أنظر إلى غرفتي للمرة الأخيرة...

فجأةً شعرت بخدر في ساقيّ وتشويش في نظري فلم أعد أرى جيداً ما حولي وسقطتُ على ارضية غرفتي وبين يديّ صورتنا المفضلة، وقد انكسر إطارها وزجاجه الخارجي...

لقد التقيتُ بفؤاد ... رأيته يضمني الى صدره ويقبلني من رأسي وهو يهمس إليّ أنه مشتاقٌ إلي كثيراً ... كان يعتذر مني لذهابه المفاجئ، فبكيتُ وأنا أكور نفسي كهرةٍ صغيره بين ذراعيه وأضمّ نفسي بقوةٍ اكبر فوق صدره بينما أقبلّ يديه وأناامله انملاً انملاً...

الفصل الثالث عشر

- رحماك يارب! أماه! أماه! فارس! تعال هنا! فارس! لقد استفاقت امي! أمنا أفاقت! يارب! فتحت (فاتن) عينيها بصعوبة بعد ثلاثة أيام، كانت فيها على حافة الموت او أقرب من ذلك... قال الطبيب لفرح وفارس انّ تلك الجرعة من الدواء كانت كفيلة بقتلها، لكنها نجت بأعجوبة بعد غسيل المعدة الذي أجروه لها، وأنّ نجاتها بعد ذلك تعتمد على استفاقتها من غيبوبتها... ظل (فارس) ساهراً في المستشفى على راحتها، ينتظر إشارةً منها كي يقبّل الأرض شكراً لله على سلامتها وبالفعل، فقد سقط على الأرض يقبلها ونهض يقبل يدي والدته وهو يذرف الدموع ويتعذر منها... كانت (فرح) تبكي بألم وهي تعتذر من أمها وتتوسل إليها أن تسامحها...

- مابكما يا حبيبيّ! أنا التي اطلب السماح منكما! فجأةً فضّ فارس ورقةً أمام ناظري أمه، وهو يبكي بجنون، وهتف وهو يقول لها بألم ...

- أماه! كم كنتُ غبياً ولم أرَ رغم تحذيركِ لنا... كم كنتُ أفرق ولم أحمكِ وانا ولدكِ الأوحد! لقد قلتِ لنا ولم نُصغِ...

- رباه! لقد عرفتما!...

سالت الدموع من عيني (فاتن) وتمتمتبوهن...

- لم أقصد أن تعثرا على هذه الرسالة، لقد كتبتها دون وعي، في لحظات يأس من كل شيء الا رحمة ربي... سامحني يالله! أنا مذنبه!

- اماه! كفى بكاءاً... نحن من نتوسل إليك أن تسامحينا!

- كم أحملناك ولم نفهم مشاعرك...لم نحاول احتواء ألمك ... وكنا فقط نفكر في أنفسنا بانانيه... نحن حمقى!

- أنا الاحمق الأكبر... أنا...

وعَضّ (فارس) على شفتيه بألم وحنق وغيظ ثم تابع...

- لقد ذهبتُ إليه وسددت لكمةً قوية إلى معدته، وهددته أن لايقترب من نزلنا أبداً ... وخصوصاً منك يا (أماه)! حبيبتي سامحني! كم كنتُ أحمق! غبي!

- كفى أيها الغالي... يابن الغالي ... حبيبي (فارس)... أمسكت (فاتن) وجنتي (فارس) بكلتي يديها وفربت رأسه منها تشبعه قبلاً بينما تغير لون وجه (فرح) بعدما سمعته من (فارس) وصاحت به بينما هو يقبّل يدي أمه...

- لكنّ الطبيب أخبرني امراً ... لم اخبرك به كي لا تتعصب!

- ماذا! ماذا هناك ، تكلمي... لقد أقفتني...

هتف (فارس)، فرفعت (فرح) رأسها نحو أخيها ونظرت بقلق نحو أمها ثم مرةً أخرى نظرت إلى (فارس) وهتفت...

- عندما أخبرني الطبيب بالامر، رجوته أن لايخبرك كي لا تتهور في التصرف ... لكنك الان تهورت أصلاً وتصرفك لم يكن سليماً ... لان ضربك لـ (عمي) خاطئ... ذلك ، لانّ..

- لانّ ... ماذا، تكلمي بسرعة، لقد حطّمتِ أعصابي!

نظرت (فاتن) الى ابنتها بقلق بينما نظرت (فرح) الى أمها بخوف وعيناها تطلبان النجدة والمساعدة...

- أماه! انتِ حاملٌ من عمي! حاملٌ الاتفهم!

- ماذا!

- صاحت (فاتن) وصاح (فارس) في وقت واحد فأردفت (فرح) قائلة:

- لقد أظهر تحليل الدم حملك.. ألم تشعري بشئ ياماه خلال شهرين!!

- آه يالهي! كنتُ منهكة في أخزاني لدرجة انني نسيتُ كل شيء آخر ولم أهتم لاي شيء سوى غسل (عاري) وتطهير نفسي بقتلها لاخلص من عذاب ضميري ...

- سوف ... سـ ... سوف ... سأقطعه إرباً...

أخذ (فارس) يهدد ويتوعد وقد خرج الشرر من عينيه وهو يصرّ على أسنانه بغضب وألم ويحرك قبضتيه بحنق...

- (فارس)! ولدي الحبيب ... ارجوك... لاتتهور ولاتفعل أيّ شيء ... أنا متعبه يا ولدي، أرجوك، ارحمني!

- أماه! لكنْ... لكنّه...

- (فارس)! سيكون لنا! وعمكّ والدهما! الاتفهم!

صرخت (فرح) وهي تمسك أخاها من كتفيه، فنظر إليها فجأة بدهشة وكأنما عاد وعيه إليه...

- ياالهي! انا لا اصدق مايحدث لنا! رباه!

دفن فارس وجهه بين يديه بينما احتضنته اخته وأخذت تربت بيديها على ظهره، ونظرت (فاتن) الى ابنها وابنتها بالم وحزن شديدين وذرفت الدموع وهي تتحسس بطنها، لقد كانت تشعر بانتفاخها لكنها لم تعد للامر اهتماماً، كما أنها ظنت في انقطاع طمثها أنّ ذلك بسبب حالتها النفسية، وكانت تقول لنفسها أنها سوف تذهب الى الطبيبة عن قريب، ويوماً بعد يوم وبسبب ضائقتها المادية

وحالتها النفسية، لم تذهب ولم تعد بالاً للامر، بينما كان هنالك جنينان انقسما من بويضتها المخصبة قد تنافسا للعيش في رحمها ليتكون من كلّ منهما كائن بشري مستقل عن الاخر حتى في جنسه، فبعد شهرين من تلك الحادثة، كانت (فرح) بجوار أمها بينما الطبيبة تعرض لها ولفاتن صورة الجنينين على الشاشة أمامهما وهي تمرر جهازاً بيدها فوق معده (فاتن) وأسفلها ...

- انظري ... إنهما توأمان ... أحدهما ذكر والأخر انثى ... هاهما، أنظرا حركتهما ..

- رباه! اماه! انظري...

ذرفت (فرح) الدموع وهي تشدّ على يد أمها التي أدمعت عيناها بسعادة وحزن في انٍ معاً...حبيبي (فؤاد) ... تمنيتُ أن تكون بجواري الان وتشدّ على يدي أنتَ كما كنت تفعلُ عندما حملتُ بفروحه وبعدها بفارس... آه، إنّ كل شخص في هذه الدنيا أو أي شخص لن يعوضني فقدانك وحضورك معي هو عندي كل العالم يا حبيبي ... تمنيتُ لو كان هذان الطفلان لك، يا حبيبي... أنت لن تسمح كلامي ، لكنني لا أستطيع عدم مناجاتك والكلام معك، في كل حين، حتى وأنا اتحدث مع الاخرين... أجدني فجأةً أكلمك يا حبيبي، وأذهب الى عالمك ... ومعك!

- ماما! انا اتحدث معك! ماذا... أين سرح بالك؟

رفعت (فاتن) رأسها نحو ابنتها البكر وقبّلت يدها فرفعت (فرح) يد والدتها وقبّلتها ثم قبّلت راسها عدّه مرات وهي تبكي فرحاً وتهتف...

- شكراً لك يامي الحبيبة... سوف تنجبين لي اخاً واختاً رائعين ... أنا على يقين أنهما رائعان لانهما منك!

- حبيبتي فروحة! لاحرمني الله منك...

عندما عادت (فاتن) الى منزلها مع (فرح) بعد زيارة الطبيبة للاطمئنان على صحة توأمها في رحمها، تفاجات بولدها (فارس) واقفاً عند الباب وهو يحمل طرداً يلوّح به في الهواء امام والدته و (فرح)...

- اماه ! لقد قلتُ لك من قبل... أنّ عليّ الذهاب لتلقينه درساً لن ينساه! سوف أضربه مرةً أخرى ضرباً مبرحا اكثر هذه المرّة... ولن ادعه حتى أرى الدماء تسيل منه مرةً أخرى ...

- ماذا هناك (فارس)! أرجوك ياولدي ! لاتؤذني! انا لن اتحمل ضغطاً نفسياً جديداً، إرحمني يا حبيبي ...

- أماه! اعذريني ... لكن متمعنى مايفعله هذا الـ ... يا الهي! لا أستطيع حتى شتمه، فهو عمي رغم كل شيء ... يا الهي ، ماذا أقول!

- انظر يا ولدي... أنتَ قلتها! إنه عمك وحرامٌ عليك ماتفعل وماتقول... أنّ عمك غير قادر على ضربك أو تأديبك إن تعدّيت عليه، لكنّه في المرّة السابقة، سمح لك بضربه، برضاه هو، ومن تلقاء نفسه... لانه يعرف بخطئهِ وسوء تصرفه... إسمعني يا حبيبي... إنه من دمك ولحمك ولو كان والدك حياً لما سمح لك ... وانا لن اسمح لك... مهما كان، فهو أيضاً من دمي ولحمي... ارجوك... هيا بنا لندخل وقل لي ماذا في هذا الطرد، وما الذي جعلك تستشيط غضباً! دلفت (فرح) مع لمها واخيها الى منزلهم وهناك جلسوا قرب بعض في الصالة على الارائك، حيث استخرج (فارس) مبلغاً مالياً كبيراً من الطرد...

- - إنها نقود يا أماه! هل يظنّ أنه يشترينا بنقوده!

- كلا يا حبيبي... إنها ليست لك وليست لي... أنها لطفليه... حقّهما هما... وليس من حقك ولاحقيّ منع والدهما من الصرف عليهما!

- أماه! هل تتقبليّن نقوده! فعلاً! أوتفعلين!

- لن أصرفهما على نفسي ، بل أدخرها لهما... هل علم أنهما طفلان! هل علمتَ أنهما طفلان وليس طفلاً واحداً!

- أماه! انتِ ستسمحين له لعد ذلك برؤيتهما والمجئ لزيارتهما! هه! هل أنتِ جادةٌ في ذلك!

نظرت (فاتن) بغضب الى ولدها وقالت بحزم..

- فارس! هل تستمع الى نفسك! هل ترضى أن أحرمك من والدك لو كان حياً! هل ترضى أن أبُعده عنك لانه قد آذاني مثلاً أو أنني لستُ على وفاق معه!

- أماه! ... انا لااعرف ماقول!

- أنا أعمل مايرضي ربي... وذلك حقّ لطفليه... وأيضا حقّه!! فهو والدهما رغم كلّ ماحصل... لا ذنب لهما فيما فعل... أتفهمني يا فارس!!

أطرق (فارس) برأسه وأبعد عينيه خجلاً من والدته، لانّه لم يعد يعرفُ بم يجيبها...

- أماه! كم أنتِ عظيمه!!

هتفت (فرح) وهي ترتمي في حضن والدتها التي لفتّ ذراعيها حول ابنتها وطبعت قبلةً على وجنتيها...كان (فارس) قد أجّل عامه الدراسي في الجامعة بعد ما رأى وضع والدته، وقام بالعمل لتوفير النقود لوالدته، بينما أخته، (فرح) قد استغنت عن كثير مما كانت تشتريه من وسائل ترف في الحياة لتضع نقودها مع نقود أخيها ليقوما بمصاريف حياتهما مع والدتهما التي حاولتْ مراراً وتكراراً اقناعهما بالعودة الى التدريس في الجامعه، لكنهما رفضا ذلك، بسبب حملها وحالتها الصحية التي تسلتزم منها الراحة التامه كي يثبت حملها ولا تتضرّر صحتها أو صحة الطفلين...

أما (أمير)... فقد علم بما جرى لفاتن من ابن أخيه، لمّا دخل عليه الى شقته في لوس انجلس وضربه لكمةً قوية في معدته أعقبها عدّة لكمات على وجهه حتى سال الدم من فمه... ورمى عليه رسالة والدته وهو يبصق على الأرض بألم واحتقار لـ (عمه) الأكبر..

- لقد ... لقد آأتمنتُك على والدتي وكنتُ ألومها لمّا نقول لها أن تبيت عندنا فلا ترضى! كيف تنسّى لك! لو كان والدي موجوداً، هل كنتَ لتجرؤ! لماذا! ألستُ رجلاً في عينيك! انا ابن أبي! لتذهب الى الجحيم! سأرد لك نقودك، اعدك ولا أريد أن أراك على مقربةٍ من منزلنا ، فلو شاهدتك على مسافة مترين، سأرميك بالنار! أقسمُ أني سأرميك بالرصاص أيها... أيها...

ظلّ أمير فوق الاريكة حيث أشبعه ابن أخيه ضرباً (قبل شهرين من حادثة محاولة (فاتن) الانتحار) ... وأخذ يمسح دماء فمه بظاهر يده، ناظراً الى (فارس) وهو يتوعده، ويكيل له السباب، دون أن يتكلم...

كانت عيناه معلقتين بتلك الرسالة التي رماها عند قدميه... ما إن خرج (فارس) صافناً باب الشقة بحنقٍ خلفه بعد أن بصق مرةً أخرى على الأرض أمام عمه احتقاراً له، نهض (أمير) بسرعة، وتلقف الرسالة وأخذ يشمها ويحتضنها ويبكي بجنون ما إن أتمّ قراءتها ... لكنّه وجد (فارس) أمامه فجأه وعيناه تتطايران شرراً، يمدّ يده نحو الرساله ليتقفها من بين يديه...

- أنتَ لاتستحق أن ترى حتى رسالة (أمي)... لن ترى إظفراً منها بعد اليوم، أتفهم... إياك!! إياك! قال ذلك وهو يهدّد ويتوعد ويوجّه سبابته نحو عيني عمه الذي كان على الأرض جاثياً ولاتزال الدماء تسيل من فمه، بينما تعلقت عيناه بدهشه بتلك الرسالة التي حملها فارس بسرعه من بين يديه ووضعها بسرعةٍ في جيب بنطاله، ونظر الى عمّه نظرةً أخيرة مُلأى بالاحتقار بينما هتف (أمير) بألم وتوسل...

- (فارس) يا ابن أخي! أرجوك! لا ... لا... هل هي بخير... أخبرني... أرجوك، لاتقل لي أنها ماتت... لا... صفق (فارس) الباب خلفه، بينما نهض (أمير) بسرعة ليغسل فمه ويغير ثيابه ويذهب للسؤال عن (فاتن) دون أن يشعر به أبن او أبنه أخيه ... كان يتردد على المشفى وقد ارتدى نظارات سوداء ووضع قبعةً على رأسه، ولم يُعرّف عن نفسه...

كان قد سأل موظفة الاستقبال عن رقم غرفة (فاتن) وطبيبها وظلّ يراقبها وعرف من طبيبها عن حالة حملها، فجنّ جنونه... لم يترك المشفى حتى تأكّد أنها بخير ولمّا راها تغادر مع ولدها وابنتها الى المنزل... عاد الى شقته واعتكف هناك، وقد عادت له نوبة الاكتئاب، فلم يعد يذهبُ للعمل وعاد الى الشرب ومعاقرة الخمر بعد أن هجرها لأجل (فاتن) ... بعد مرور شهرين، قررّ الخروج من عزلته، والعودة الى العمل، لأنه (صرف كل مدخراته) ولأنه لم يعد لديه نقود لشراء المشروب الذي اعتاد شراءه من (البار) القريب لشقته عبر الشارع كل ليلة... عندما عاد الى العمل... أخذ يراقب أخبار (فاتن) وعرف عنوان طبيبتها، فبدأ يسألها عن صحتها، ودفع عن (فاتن) كل أجور مراجعتها، بينما ظنت الأخيرة، كونها قد شرحت لها وضعها (بينها وبين الطبيبة)، وبطلب شخصي من (فاتن) أن تختلي بها، وقالت لها أنها ستدفع لها كل مستحقاتها لمّا تعود الى عملها في الجامعه، وأنها لاتريد الذهاب الى طبيبة أخرى، كونها طبيبتها التي طالما راجعتها عندما كانت حاملاً بـ (فرح) و بـ (فارس)!!... لم تصدّق (فاتن) نفسها و الطبيبة تبتسم لها وتوافق على عدم الدفع، وكادتْ أن تنهض اتقبّلها من رأسها...

عندما زارت (فاتن) الطبيبة بعد مرور شهر على مراجعتها، وأعطتها من النقود التي أرسلها (أمير) لها في الطرد، نظرت الطبيبة باستغراب لـ (فاتن) و قالت لها بدهشة وهي تجلس اتكتب الدواء لها...

- ماهذا؟؟ ماذا تفعلين؟

- أنا قد وعدتك ما إن أحصل على نقود، فلسوف أعطيك كل مستحقاتك، وأنا أعتذر منك وأشكرك في آنٍ معاً...

- آه، عزيزتي!! ألم أقل لك... لقد دفع رجلٌ يقول أنّه والد هذين التوأم، كل مستحقاتهما... لا أطلبك شيئاً، ولقد أعطاني دفعةً مقدمه، لكلّ مراجعة تراجعينها حتى ولادتك، بكل سلامه...

- ماذا!! (أمير) ! هل جاءك (أمير)!

صاحت (فاتن) بدهشة وهي تتراجع الى الخلف قليلاً...

- لاأعرف ماهو اسمه، لكنّه أطلّع على جميع معلومات طفليه ودفع كل ماينبغي دفعه من نقود... أخبرني أن لا أقول لك ولذلك لم أخبرك كما أعتقد! نسيت!؟ هه! على كلٍ... أنا قد حصلتُ على نقودي وأنتِ بخير مع التوأم، فلمَ لا نريه تفاصيل عن صحتهما؟ هل تمانعين ذلك؟

نظرت (فاتن) لبرهةٍ الى الطبيبة ثم صرّحت بصوت حزين...

- كلا! بالعكس، فذلك من حقه... شكراً لك...

قالت فاتن ذلك وهي تأخذ النقود من أمام الطبيبة و تضعها في حقيبتها مرةً أخرى...

(آه! أمير!! انا لا أعرف كيف أو ماذا أقول!!...)...

هتفت في سرّها، ثم عدّلت حجابها ومعطفها وخرجت من عيادة الطبيبة... بينما كانت تهبط السلم لتركب سيارة الأجرة، لاحت منها التفاتةٌ لشخص تعرفه تماماً... توقفت لتنظر إليه، كما توقف هو لينظر إليها بحزن... إنه هو، كان هو نفسه (أمير) ينزل من سيارة أجره، بينما هي تقف أمام سيارة اجرة استوقفتها للتو... بقيا مسمّرين في مكانهما لدقيقة عندما صاح سائق الأجرة بـ (فاتن) بصوت يشوبه الغضب...

- هل ستركبين أم ماذا... سيدتي!!

نظرت (فاتن) الى (أمير) للمرّه الاخيره- أذ أنها لم تستطع أن تبعد عينيها عنه دهشةً وعتاباً وخوفاً وألماً – وهتف تنادي السائق أنها ستركب فوراً... كانت معدة فاتن قد تكورت كثيراً وكبرت أمامها بشكل ملحوظ، ولاريب في الامر، فهي لم تحمل طفلاً واحداً، بل طفلين في احشائها...

عندما ركبت (فاتن) في السيارة لاحت منها التفاتةٌ الى (امير) فوجدته لايزال واقفاً ينظر اليها وكأنّه خشبةٌ مسنّة... وما أن توارتْ هي عن ناظريه حتى رنّ هاتفها النقال... كان (هو)... هو من اتصل فلم تردّ على الاتصال، وعندما رنّ ثانيةً وثالثه، وضعته بوضعِ صامتٍ واعادته الى جيبها وهي تشغل نفسها بالنظر الى قارعة الطريق... كان المطر ينهمرُ غزيزاً وقد هطل بعد صعود (فاتن) في السيارة... فجأة شعرت (فاتن) بارتجاج في جهازها الجوال، اخرجته من جيب ثوبها أسفل معطفها الشتائي، نظرت الى الرسائل، فأذا بها ترى رسالةً من (أمير) قد أرسلت اليها... فتحتها بسرعه..

(فاتن) الغالية، أعلم أنك لن تردّي على اتصالي، لكنني أشكرك على رعاية طفليّ في احشائك... لقد أعطيتني أملاً جديداً أحيا لاجله... سأظلّ أرقب يوم ولادتهما، لأكون بجوارك وجوارهما... سمحيني يا (فاتن)، سامحيني على كل شيء، حبك سيظلّ نوراً ينير لي طريقي، سأظلّ أحبك الى الابد يا فاتنتي، يابياض ثلجي... إعتني بنفسك وبالتوأم عزيزتي)...

أغلقت (فاتن) الرسالة ثم عادت لتدخل صندوق الرسائل، فأسرعت بمسحها وقلبها يخفق بجنون وقد عادت ذكريات تلك الليلة الى دماغها وخيلتها ... سالتِ الدموع من عينيها دونما إرادة بينما وضعت يديها فوق بطنها المكوّرة و هي تشعر بركلات الطفلين في احشائها... شهقت بدهشة، وشعرت بشهورٍ غريب وكلمتهما في سرها... (رباه! لقد فرحتما بذكر والدكما أيها الشقيآن! حقاً!)...

إهتز جهاز جوال (فاتن) مرّةً أخرى، ففتحت الجوال لتقرأ الرسالة وقد شعرت بالامتعاض وهتفت في سرها... (هل مجرّد رؤيته لي تسمح له بأن يظلّ يرسل لي رسائل الى جوالي! ماهذه الوقاحة ... سأحظر رسائله!)...

لمنها شهقت فجأة وهي تقرأ رسالته... لقد كانت الرسالة عبارة عن رقم بطاقة ماستر كارد تستطيع (فاتن) أن تصرف منها أيّ مبلغ متى ماشاءت، ولم يذكر مع لرقم أيّ شيء... فقط ، أرسل لها بطاقته ورمز تفعيلها، فقفزت الدموع من عينيها دهشةً وسعادةً في آنٍ معا... تلفتت يميناً ويساراً ثم أحاطت معدتها المكورة بأنامل يديها وقبّلت قمتها وهي تتحدث الى طفليها بصوت حنون هامسةً لهما بصوتٍ خفيض...

- أحبكما يا صغيري ويا صغيرتي ... أنظرا كم أنتما مرزوقان... لقد أرسل والدكما نقوداً لكما، فلن أحتار بعد الان، ولسوف أذهب غداً لشراء ثياب لكما وسريرين صغيرين... سأعتني بكما ياحبيبيّ... أحبكما! آه! هل تلعبان الان...

أخذت (فاتن) تبتسم وهي تشعر بحركة الطفلين في داخلها وهما يتحركان داخل رحمها، نظرت الى قارعة الطريق بينما ينهمر المطر مدراراً وشكرت الله في سرها ...

(كم أنتَ رحيمٌ يارب... شكراً لك... كنتُ في حيرةٍ من أمري، لا أعرف ماذا أفعل أو من أين أجلب لهذين الطفلين نقوداً... رباه! شكراً لك... وشكراً لكَ يا (أمير) ... رغم كل شيء)...

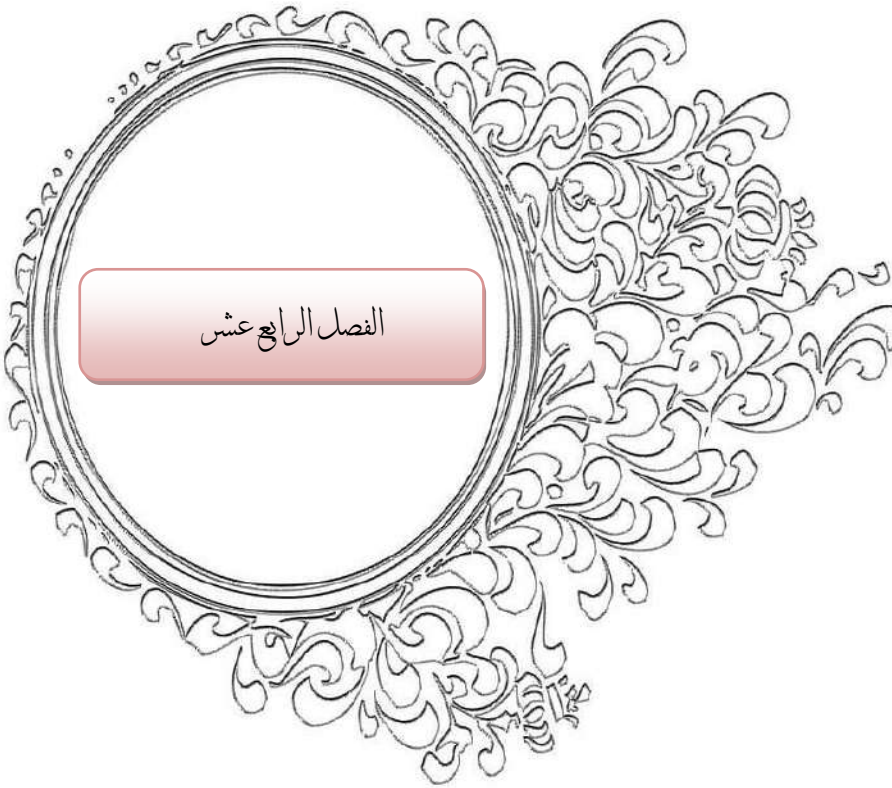
الفصل الرابع عشر

وكانت ساعة الولادة، حيث أخذ (فارس) و (فرح) والدتهما الى المشفى سويةً في سيارة أجرة ، استوقفها (فارس) وركب قرب السائق بينما ركبت (فرح) قرب والدتها ... لم يتصل (أمير)بـ (فاتن) مطلقاً خلال أشهر حملها، لكنّه كان يرسل لها نقوداً بين الفينه والأخرى دون كلام ولا اتصال صوتي، بينما هو في واقع الحال يتابعها ويسأل عن أخبارها وأخبار طفليه التوأم بشكل متتابع ودوري...

- أمي! هل أتصّل بعمي!

هتفت (فرح) وهي تهمس لوالدتها التي كانت تتألم بصمت، بينما تشدّ على يديّ (فرح) التي أمسكت بيديها مشجعة... نظرت (فاتن) الى (فرح) وهي تعض على شفتها السفلى من شدّة الألم كي لاتصرخ أمام السائق، لأنها لم تكنْ تستطيع الصراخ مهما بلغ بها الألم أمام الاخرين... هزّت رأسها بالموافقة، فأخرجت (فرح) جوّالها وأرسلت رسالة نصية الى عمها كي لا يشعر (فارس) بما تفعله هي فيصرخ بها...

- فؤاد! فؤاد! رحماك يااللهي!

أخذت (فاتن) تردد كلمّا أشتد الألم عليها وهي تمسك بيدي (فرح) بقوة وتعض على شفتيها من فرط الألم... ظلت (فرح) مع والدتها وشهدت ولادة التوأم الأول، عندما دخل (أمير) فجأة، و (فارس) متعلق بتلابيبه يحاول ضربه وإيقافه عن الدخول، بينما صاحت الطبيبة بدهشة وهي تنظر إلى (أمير) باستنكار...

- لابد انك زالد التوأم!؟ فَلتّحصر فوراً!

- ماذا كيف تسمحين لاحدٍ بالدخول حضرة الطبيبة!

هتف (فارس) بحنق، عندما أندفعت (فرح) تحمل أخاها الصغير لتريه إياه...

- (فارس)، أنظر! إنّه أخونا الصغير، ما أجمله !

- يااللهي ! هل هو صبي!!

صرخت (فاتن) بصوتٍ عال، إذ لم تحتمل شدّة الألم ، فهرع (أمير) نحوها، وترك الانشغال بجمال طفله الصغير بين ذراعي (فرح)، أمسك بيدها مشجعاً وهو يهتف بصوت حزين نادم...

- تشجعّي عزيزتي (فاتن)! أرجوك! أنتِ قويه...

نظرت (فاتن) الى (أمير) بغضب وكانت عيناها تقدحان شرراً من شدّة الألم ... شجعتها الطبيبة..

- هيا! دفعة أخرى ... كوني قويه! الفتاة بحاجةٍ للخروج والا ستختنق..

- لا! يااللهي، أرجوك!

أمسكت (فاتن) بالمسند الذي كانت نائمةً فوق سريره بشكل مائل الى الأرض بيدها اليمنى بينما كان (أمير) مُمسكاً بيدها اليسرى، التي حاولت إبعاده عنها دونما جدوى، فعضّت يد امير بقوة من شدة الألم وهي تصرخ، عندما أعلنت الطبيبة ولادة طفلتها...

- آه! مرحى! لقد جاءت الصغيرة التوأم للحياة!

- الحمد لله!

وصاحت (فرح) بسعادة بينما (فارس) لايزال حاملاً أخاه الصغير متلفعاً بقطعه قماش بيضاء وهو مندهش بجمال طلته وغضاضة عوده وصغر تقاسيمه...كان طرياً وابيض للغاية ورموش عينيه الشقراوان لاتكادان تبينان من شدّة شقارهما... لكنّ عينيه كانتا كعيني (فؤاد) تماماً... زرقاويتين... ظلّ (فارس) يهدهده ويناغيه عندما صاحت (فرح) وصفقت لولادة أختها، قبّل (أمير) رأس (فاتن) المتلفع بالحجاب، بينما دموعها لم تنشف من مآقيها... رفعت (فاتن) عينيها نحو (أمير)، وتذكرت (فؤاد) في نفس اللحظات عندما قبّل رأسها وقت ولادتها لابنتها البكر (فرح)... (رباه!! كم هو يشبه (فؤاداً) في ملامحه!!) هتفت (فاتن) في سرّها، عندما لاحظت يد (أمير) وقد خرج الدم منها، فشعرت بالحرج الشديد وتأسفت...

- اعتذر جداً ! لم أشعر ماذا فعلت؟!

- لا عليكِ... أبداً!! (فاتن) ... (ونظر إليها نظرته الخاصة)... أنا الذي أعتذر منكِ ... وأرجوك ان تسامحيني يوماً ما!

- أمير!... لاتفتح الموضوع رجاءاً! دعنا ننسى!

- نعم! ليس الوقت مناسباً أبداً... أنا جدّ سعيد... وأشكرك من كل قلبي ... (فاتن) ... أنتِ أمّ طفليّ... ناولته الطبيبة طفلته الصغيرة بعد أن لفّتها وقطعت الحبل السرّي عنها وعقمت كل شيء وأكماته، ذُهل (أمير) بجمال وغضاضة تلك المخلوقة الصغيرة التي وُضعت بين ذراعيه، وحارت الكلمات عند شفتيه وبقى متعلقاً بأهدابها الشقراء وعينيها الزرقاوين

- عماه! هل يمكنني!

هتفت (فرح) وهي تقترب من أختها، فنظر الى (فرح) وهو غير مصدق ما يحدث له، ولم يستطع أن يعطيها ابنته ففهمت (فرح) دهشتة عمها وأسرعت تأخذ أخاها الأصغر من بين ذراعي فارس لتعطيه لعمها وتعود فتأخذ أختها وتناولها لفارس وهي تضحك بينما كلاهما مذهولان...

كانت الطبيبة في تلك الاثناء تعتني بـ (فاتن) وتعالج ماتبقى من مشيمتي التوام وتعقم كل شيء بينما عينا (فاتن) معلقتان بعائلتها تنظر (فرحاً) و (فارساً) وهما سعيدان باختهما الصغيرة، و(أمير) وهو مندهش بطفله الصغير ...

- ما أجملك! ما أجملك! هل أنت طفلي!

هتف (أمير) بسعاده... ثم نظر الى (فاتن) التي كانت دموعها لاتزال فوق الوجنتين... استخرج منديلاً من معطفه ومسح وجهها بينما ناولها طفله الصغير وهو يقول....

- إنه يأكل ظاهر كفّه، أنظري كم هو جائع! يالهُ من نهم دنيء صغير! (وضحك بصوت منخفض)..

تلقفته (فاتن) من بين ذراعي (أمير) وهي تبتسم ...

- أهلاً ياصغيري... مرحبا بك... مرحباً ! آه! كم أنت وسيم ياحبيبي... الله! ماأجملك!...

هتفت الطبيبة فجأة...

- لقد خطت مكان الجرح وعقمت كل شيء ويجب عليك أخذ هذه الادوية، من يصرفها لك ... (تلفتت بين فارس وأمير)، فصاح (أمير) بسرعه وهو يهتف:-

- أنا ... أعطني ورقة الدواء...

- حسنٌ، مبارك لك ... على ما أعتقد، فهما طفلاك...

- شكراً لك حضرة الطبيبة... نعم! إنهما طفلاي...

قال بسعادةٍ بالغة، ثم نظر الى فاتن وقد أخذت ترضع الصغير واضعةً حجابها فوق صدرها... كان جائعاً حقاً وهو يلتقف صدر والدته بنهم كأنه كان في رحلةٍ طويلة دون طعام وذلك ما صّرحت به (فرح) وهي تقترب من والدتها...

- كم هو نهمٌ صغير!!

انفجرت (فرح) بالضحك وكذلك (فارس) الذي كان لايزال يحمل (أخته) الصغيرة بين ذراعيه وهي تنظر إليه بعينيها الزرقاوبين دون تركيز... كان فارس قد اقترب من سرير والدته ليقبّل رأسها ويبارك لها... لاحت منه نظرةٌ الى عمه فانكسرت نظراتهما وحارا جوابا ولم يتحدثا... عندما خرج (أمير) لجلب الدواء، هتفت (فاتن) بولدها...

- ألم اقل لك إنه أصبح والد أخيك وأختك، ولذلك نهيتك عن الأساءة إليه أو توجيه أي كلامٍ جارح له... من حقه أن يحظى بطفليه...

- أماه! هل سيأخذهما!

صرخت (فرح) بألم، بينما هتف (فارس) بغضب...

- لا! لاتعطيه هذين الطفلين الرائعين! أماه! لقد أحببتهما جداً... إنهما توأم متماثل... أرأيت أهدابهما... كم هما جميلان... كم هما طريان... يا الهي ! سبحانك...

- حبيبي (فارس)!! طبعا لن أعطيه التوأم! أنا أمهما!

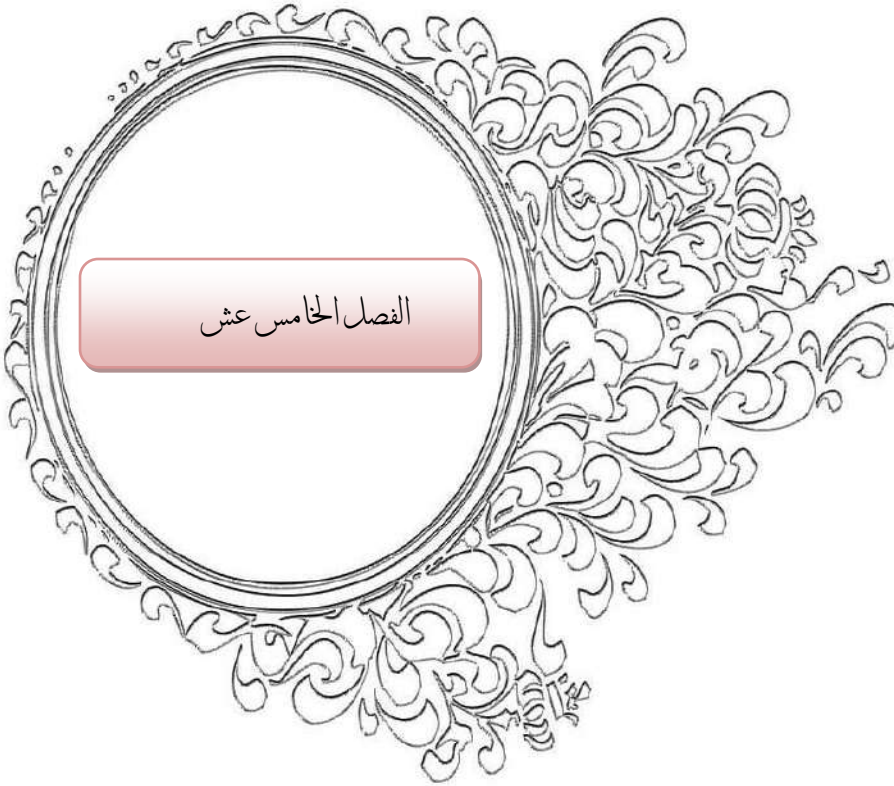
الفصل الخامس عش

- حبيبتي (فاتن)... سأقصّ عليكِ اليوم قصة (الفاتنة والوحش)

- (بابا فؤاد)... هيّا قصها لي بسرعة...

- حبيبتي الصغيرة... تعالي إليّ لأحتضنك بقوة... نعم..

كانت هناك فتاةٌ جميلة، تسكن مع والدها وأختيها ... إستذكرت (فاتن) تلك اللحظات وهي ترضع طفلتها التي أسمتها باسم خالتها، بالاتفاق مع (أمير) وموافقته، بينما سمت الولد باسم (فؤاد) كما أراد (أمير) نفسه...

كام (أمير) وفؤاد يذهبان معها الى حفلات عزف سمفونيات عالمية، لأنّ (هاني) كان من محبيّ موسيقى (البوب) التي لم تكن (فاتن) تطيق أصلاً سماعها ولطالما كانت تضحك على (هاني) وهي تراه يرقص في الصالة أحياناً واضعاً سماعات في اذنيه وهو يسير ويستمع من هاتفه لتلك الموسيقى أو عندما كانت تدخل غرفته لتأخذ ثيابه الى الغسالة بعد أن تطرق الباب فتراه منغمساً في الرقص على تلك الانغام فتدخل وتأخذ الثياب وهي تضحك عليه، عندما كانت تسكن في منزل خالتها قبل سنوات طويلة... لكنّ (فاتن) في تلك اللحظات التي استذكرت فيها ذكرى (فؤاد) وهو يقصّ عليها قصصاً عندما انتقلت بادئ ذي بدء الى منزل خالتها وكانت تخشى المبيت لوحدها، في غرفتها الملاصقة لغرفة (فؤاد) فتضرب على الحائط وتنقره باصابعها، لياتي (فؤاد) كأبٍ حنون، يجلب معه الأمان والنوم مع قصة جميلة وقلبٍ حنون وصوت رخيم دافئ...

كل ذلك ، تذكّرتهُ (فاتن) فجأةً وهي ترضع صغيرتها، كأن شلالاً من الذكريات سقط فوق رأسها فجأةً دون استئذان فذهلت كيف ذكرت ذلك؟!

- (بابا فؤاد)! أنت لن تتخلى عني مثلما تركني أبي فجأة! أرجوك لاتتركني أبداً!

- إحتضنت (فاتن) ذات الأعوام التسع (فؤاد) وهي طفلة صغيرة، ودموعها حرّى، فأحاطها (فؤاد) بذراعيه وضمَّها الى صدره وهو يهدهدها ويكلمّها بصوته الحاني...

- فاتنتي الصغيرة! هل عندك شكٌ أنني سأتركك! وعندما استذكرت (فاتن) ذلك، صرخت وهي ترمي وسادة سريرها بغضب...

- نعم ! تركتني ! تركتني مرتين! مرةً لمصيري المجهول مع عمي... صحيح أنه لم يكن هنالك يدٌ لك في الامر، ولم تكن قادراً على فعل شيء ... لكنك الان تركتني عمداً ... لمّا ذهبت الى تلك الـ (جوليا) !!...

انفجرت (فاتن) بالبكاء وهي تستذكر كيف كانت محرجةً منه أول مرّةٍ عندما خشيت النوم لوحدها في أوّل ليلةٍ جاءت خالتها بها الى منزلها، فأخذت تبكي لوحدها قبل ان يظهر فجأةً من خلف باب غرفتها ويقترب بخجلٍ منها وهو يهتف بصوته الرخيم الدافئ...

- (فاتن) ! هل أنتِ بخير! هل جافاكِ النوميا صغيرة!

- نعم! أنا خائفة...

- هل يمكنني أن أجلس هنا وأقصّ عليك قصةً كي تنامي... هل تخافين مني...

- لا! لا أخاف منك...

- حسنٌ اذاً! دعيني أقصّ عليك قصةً تسليكِ، وإن اعجبك الأمر، سآتي كل ليلة لأقصّ قصةً عليك قبل النوم كي لا تخافي.. ما رأيك...

- كانت ماما تقص عليّ قصصاً قبل النوم، وكذلك كان (بابا) يفعل... سأسميك إذاً... (بابا فؤاد) ...

- رباه! ما أسعدني بهذا اللقب... كم أنا سعيدُ بحصولي على ابنةٍ صغيره! حسنٌ إذاً... هيا... سأحكي لك قصة (بياض الثلج) ...

- فؤاد... أين أنت!

هتفت (فاتن) وهي تستذكر فجأةً وكأنه حلم جميل، ذكريات طفولتها مع (فؤاد) وقلبها يهتف ب (حبّه)... بينما عيناها معلقتان بوجه ذلك الطفل الصغير الذي تعلق بثديها يرضع منه دون توقف... أخذت يده بين أناملها فأمسك بأصابعه الصغيرة سبابتها بقوه فأخذت (فاتن) تضحك...

-صغيري (فؤاد) ماأجملك... ماأجملك!! لقد جمعتَ بين شقار والدك وزرقة عيني عمك (فؤاد)... لو كان (فؤاد) هنا، لحملك ورعاك وأحبّك... فهو حنون جداً! وأخذت تبكي مرةً أخرى وتنادي...

-أين انتَ يافؤاد! لا أصدق أنك قد متّ أبداً!

لقد أخذ (أمير) يتردد على منزل (فاتن) ليرعى طفليه مع (فاتن)، وبحضور (فرح) او (فارس) فقط، ذلك بعد أن وافق (فارس) بشرط حضورهما – أي هو أو أخته – وكان (أمير) سعيداً جداً بطفليه، وقد قام بشراء غرفة ألعاب خاصة لهما قامت (فاتن) بتفريغ العلية لأجلها وبناء غرفة (دفع تكاليف بنائها –أمير-) في الطابق العلوي لأجلهما... لم يتطرق (أمير) ولا (فاتن) لأي حديث عما حصل بينهما أو عن مشاعر (أمير) تجاهها، وكانا يتجنبان ذلك كي لا يخسرا بعضهما مرةً أخرى... فـ (فاتن) كانت بحاجةٍ ماسةٍ للنقود ولمن يعينها في تربية التوأم وجلب الحليب ومستلزماتهما بشكل مستمر لها، و (أمير) كان محتاجاً لوجود (أم) توأمه بشكل أكبر من حاجتها له... علاوةً على سعادته الفائقة كونه قد أصبح قريباً من (فاتن)، وعادت علاقتهما كآبني خاله الى مسارها الطبيعي مرةً أخرى دونما قطيعةٍ أو مشاعر سيئه...

زارهما (هاني) ذات يوم هو وزوجته الاميركية (كاثرين) وكانا قد سكنا في واشنطن دي سي (العاصمه)...

لم يكن (هاني) يعلم شيئاً عما جرى بين (أمير) و (فاتن) وكانت صدمةً له رؤية توأم أخيه وهما يحبوان... وعندما أختلا بأخيه أمير ضربه على كتفه وهو يهتف..

-أيها الشقي! ماذا جرى ومتى حصل ذلك!

- ليس الامر كما تظن... ليس لفاتن علاقةٌ بالموضوع... أنا السبب في كل شيء...

- اذاً! لستما على علاقة حب؟ معقول؟! إذاً كيف؟!

- لا! لاتريد أحداً غير (فؤاد)، إنها لاتزال تصدق أنهّ حي يرزق!

- ياالله! سوف تكتمل خمس سنوات منذ حادثة اختفائه وهي لاتزال تظنهّ حياً! لقد جرفت مياه المحيط الهادي جثته، خصوصاً وهو يسقط من أعلى جسر سان فرانسكو المشهور الشاهق العلو... لا أدري ...

- حدثني يا (هاني)! ماذا عن زوجتك... ألا تزال ترفض الانجاب!

- نعم! (ردّ هاني بامتعاض) ... ثم أردف...

- اكتفت بطفل واحد كي لا ... (حسب قولها)، يتغير قوام جسدها... أنا لا اطيق التحدث عن هذا الامر يا أخي! ليت كل النساء مثل (فاتن)!

- فاتن! إنها امرأة رائعة! نادرة الوجود...

- فعلاً! فؤاد محظوظ بحبهّا!... أتمنى أن تحبك يوماً ما ياأخي! لاتفقد الأمل...

هتف (هاني) وهو يربت بكفّه على كتف أخيه الذي زفر بألم وأخرج سيكارة ليدخنها وينسى همّه... أردف (هاني):

-وقد أرسَلَت بابننا الأوحد الى مدرسة داخلية! أتصدق! أين أمي عن هذه التربية الحمقاء! انا لا أرى ولدي...لقد سئمت حفلاتها واجتماعات والدها... سئمت تحكم والدها الثري بمقدرات أموري كوني أعمل مهندساً في شركته... لا أحتمل بعد هذا... لا أعرف ما العمل ياأخي! أنت حرٌ الان بلا زواج... الزواج شيء سيء للغاية ياأخي...

- أتمنى الزواج من (فاتن) وأعطي نصف عمري القادم لأجل ليلة أكون فيها زوجاً فعلياً لها... عَم تتحدث يا (هاني)! أنت لاتعرف النعمة التي تعيش بها... هنالك زوجةٌ تهتم لك، ترعاك كل ليلة، وعند الصباح تحضر فطورك وتسأل عنك... أنا افتقد كل هذا... لقد سئمت تعدد العلاقات... كلّهن يردن النقود فقط منك، ولا توجد واحدةٌ منهنّ تهتم لك... زوجتك، تعرف كل شيء عنك زأنت نعرف كل اطباعها ... لديكما تاريخ مشترك حتى لوكان نزاعاً أو شجاراً أو اختلاف رأي، فهو يبقى بينكما... من منا دون اختلافات... أنا أحسدك يا (هاني) ... بالعكس... الزواج نعمه مجهولة...

- ها! ياللهول! أنظروا من يتحدث! (زير النساء)، (أمير) ... أضحكتني ياأخي! حقاً، أضحكتني!!

- كفى! كفى! إنهض وإلاَّ ضربتك...

-هل أجلب لك الشاي يا هاني!

هتفت (فاتن) فجأة وهي تدخل عليهما في الصالة حيث جلسا بمفردهما، فنظر (هاني) بخجل الى فاتن وتبادل النظرات مع (أمير) خشية ان تكون (فاتن) قد سمعته، لكنّه اطمأن من نظراتها البريئة وملامح وجهها وهي تتحدث كما لو كانت فتاةً لا تزال في منزل والديه عندما كانوا سويةً، أقول، لقد تأكد، أنها لم تستمع لشيءٍ من حديثهما لأنّ نبرات صوتها وسحنة وجهها كانت طبيعية للغاية..

-فاتن الغالية! أتمنى شرب شايك الرائع! أفتقده دوماً... رحمك الله يا أماه!

هتف (هاني) ففزت الدموع الى مقلتي (فاتن) وكذلك أدمعت عينا (فاتن) وكذلك أدمعت عينا (أمير)... أما هاني فقد كان يبكي...

-تمنيت لو كانت بيننا الان... آه يافاتن... لمّا أراكِ، أذكر أمير... كم كانت تحبّك... ولما رحلتِ، كانت كل يوم وعند كل وجبة طعام تذكرك ككتاب مقدس، كآيات ترتل صباح مساء... أين انتِ يافاتن، كم كنتُ غبيةً عندما أرسلتك، كم اشتقت اليك ياابنة أختي... سامحيني يالهي ... فاتن صغيرتي... (وبكى)...

- خالتي الغالية!

بكت (فاتن) وذهبت الى المطبخ بسرعة لتواري دموعها التي انهمرت حزناً وشوقاً لخالتها ... زفرت بألم وهي تصب الشاي وتضع الكعك في صحن مستقل، بينما أقداح الشاي العراقية المزخرفة تعكس أشعة الشمس من نافذة مطبخ منزل (فاتن) المطل على الحديقة الجميلة بزهورها وأشجارها الرائعة... كانت تلك الاقداح تسمى (إستكانات) بالعراقية، وعائلة خالة (فاتن) كانوا يسمونها مثل مسمّاها العراقي بسبب (خالتها) التي علمتهم ذلك...

-تفضل (استكانك) ياهاني... هنيئاً مريئاً...

- شكراً يا فاتن! الله! الله! على الطعم... كم اشتقت اليه...

- اذاً! لمَ لاتزورنا دوماً! هاني... حقاً اشتقت لتجمعنا كما كنّا من قبل! لمَ لا تفعل ذلك... لقد مرّ العمر وأصبحنا كباراً... لمَ لا نجتمع دوماً هنا كل شهر ولو مرةً واحدة على الأقل... فكر في الامر ياهاني... فـ (أمير) يتردد هنا دوماً لأجل توأمه... بقيتَ أنتَ! و (فؤاد) يسكن معنا بروحه!

وزفرت (فاتن) بألم فتبادل (هاني) و (أمير) النظرات بينما نظر (أمير) الى هاني بألم يقول له بلسان الحال... (ألم اقل لك! إنها لاتزال تعيش وكأنه معها!!) ... بادله (هاني) نظرات المواساة، وشدّ يده بينما كانت فاتن ترتشف الشاي وكأنّ على رأسها الطير، وكأنما ذهبت بها الذكريات، الى حيث وجدت (فؤاد) قربها، يجلس ليشرب الشاي وقت العصر معها ومع اخويه عندما كانوا سويةً في منزل الخالة... قطع تأملات (فاتن) وسرحان فكرها، صوت (فرح) وهي تحمل أختها الصغيرة هاتفةً...

-أماه! انتبهي لابنتك المشاكسة! كانت تعبث بالماء!

- حبيبة قلب أبيها... إجلبيها هنا!هناهنا، صغيرتي!

هتف (أمير) وهو يتلقف طفلته من بين ذراعي (فرح) عندما دخل (فارس) يحمل (فؤاد) الصغير...

- سأذهب بفؤاد الى الخارج قليلاً... لا ينشغل بالك...

- حسناً يا حبيبي... لا تتأخر...

- حسنٌ يا أماه!... لاتقلقي... لن أتأخر...

- كيف حال ابنك ياهاني! في أي جامعه يدرس الان يا ترى... لم لا تجلبه معك ليرى الأولاد...

- فاتن الغالية... سأجلبه في المرّة القادمة دونما شك.. أين ذهبت (كاثرين) إذاً... هل من المعقول انها لاتزال نائمة! حقاً!

- نعم! إنها متعبة ولم أشأ ايقاضها... دعها ترتاح!

- أوه! لكنها جاءت لرؤيتك! رباه! ماذا أقول... انها لاتعرف المجاملات الاجتماعية إلا في حفلاتها المخملية!

- هاني! لابأس، هل تخجل مني! أنا لستُ غريبة ولا داعي لمجاملتي! لابدّ وأنها لم تنم...

- نعم! لم تنم طوال الليل، لأنها كانت تحضّر وتتصل لأجل حفلتها القادمة بمناسبة معرضها الفني، انها لاتهتم بي على الاطلاق يافاتن!

- لاتقل ذلك يا هاني... كاثرين تحبك!

- تحبّ فنها... رسوماتها... معارضها وتحفها الفنية وجمعياتها الخيرية التي تقوم بها لأجل طبقتها البرجوازية! هذا ماتحبه! وإلاّ فلماذا لا استطيع أن أحظى باطفال اخرين أسعد برفقتهم! فاتن! انتِ أختي وأنا متعبٌ من هذا الموضوع للغاية! لا أستطيع ان أجد حلاً!

- ياللهي! لم اكن اعلم بهذه التفاصيل... لكنْ... دعني أتحدث معها اذاً!

- لا لا... سوف لن تأتي هنا أبداً ولن تدعني أزورك! هل جننتِ!... ستقول لي... أنت تشتكي مني أمام عائلتك!

- هاني! لكنْ... يجب أن يكون هنالك حلٌ ما...

- سأتزوج ... صدقيني... سأتزوج امرأةً عراقية الأصل، من المهجرين... لاحلّ سوى هذا...

- وتخرّبُ منزلك! لا... لا... هاني... دعني أحاول، دون أن تشعر (كاثرين)، سوف أحاول معها، صدقني، أنا امرأة وأعرف كيف أتكلم معها... دع الامر لي...

- حسنٌ! سأعطيها فرصةً أخيرة! لأني فعلاً سئمت يا (فاتن)! لكل شيء نهاية... هؤلاء الاميركانز، لا وجود لسلطة الزوج على زوجته ولا يعترفون بأنّ الرجل هو صاحب القرار والكلمة العليا في منزله!

- أعرف هذا يا هاني... لذلك أقول لك، لاتلمها! أنتما من بيئتين مختلفتين، صحيح أنك قد ترعرعت في أميركا، لكنك نشأت وانت ترى خالتي رهن طوع عمي رحمه الله، ولاتفعل شيئاً دون مشورته... رحمهما الله!

- رحمهما اللهُ!

- هتف كلٌ من (هاني) و (امير) بينما تنهد (هاني) بألم...

- مرحباً! هل فاتني شيء من أحاديثكم! (ظهرت كاثرين)...

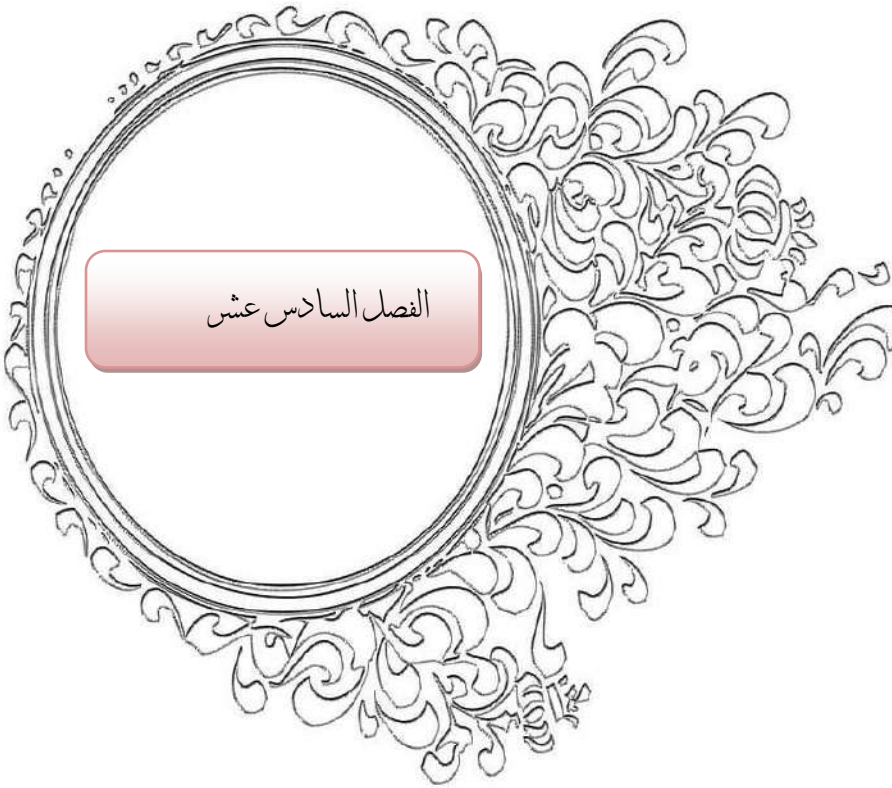
الفصل السادس عشر

إحتضنتُ وسادتي وأغمضتُ عينيّ وأنا أتخيل (فؤاد) عندما كان يقصّ عليّ قصص ما قبل النوم حينما أخذتني خالتي من منزل عمي وأنقذتني من براثنه لمدّة عامين كاملين، اكتسبتُ فيهما تعلمّ اللكنة الأميركية وعادات وطباع منزل خالتي، لكنّ سعادتي لم تدم، بعودتي إلى عمي لسبع سنين عجاف، كنتُ أستقي اللغة الإنكليزية وأداوم عليها عبر التسلل في نهاية كل أسبوع دراسي الى الصالة وأهل عمي نيام، على رؤوس أصابعي كي أستمتع بمشاهدة فيلم السهرة...

تخيلتُ نفسي وأنا أتكور كهرةٍ صغيرة تحت غطاء سريري الذي اعتادَ (فؤاد) أن يدثرني به لمّا حللتُ عليهم ضيفةً جديدة وصرتُ بعد ذلك جزءاً لايتجزأ من عائلة (خالتي)، إذ كان (فؤاد) يقول لي أن أعتبره بمثابة والدي الذي توفي أو أخي الأكبر... وكذلك كنتُ أفعل... إعتدتُ أن يقرأ لي قصص ما قبل النوم، ولم أكن استطيع النوم إن لم يأتِ ليقصّ لي إحداها، فأن تأخرّ نقرتُ على الجدار الفاصل بين غرفتي وغرفته، حيث يقع سريري بموازاة سريره، ولايفصل بينهما سوى (جدار أصم)... لكنّه لم يكن أصماً حقاً، فلقد شهد ضحكاتي وكان سعيداً بأيصال نقرات أصابعي فوقه حتى مسامع (فؤادي)... كان (فؤاد) في البداية يجلس مقابل سريري على كرسي منخفض عندما يقصّ لي حكاياته، لكنّه بعد ذلك، ولما اعتدنا أن لا أنام إلاّبسماع قصةٍ من قصصه، أخذ يستلقي بقربي ويضع ذراعه فوق ذراعي وهو يمثّل لي قصته بحركات من يديه وعيناهُ تشعان حباً وحناناً... لا أذكر متى توقف (فؤاد) عن قصّ الحكايا لي... لكنني أذكر موقفاً واحداً ظلّ عالقاً بذهني، ففي إحدى تلك الليالي وبينما قصّ عليّ قصة ماقبل النوم، وجدته قد نام قبلي، فدثرته أنا بدوري وطبعتُ قبلةً على جبينه وأنا أقول له بصوت خفيض...

- تصبح على خير (بابا فؤاد)!

ونمت بجواره وأنا أنظر الى قسمات وجهه الملائكي... فجأةً، وعند اقتراب الفجر، شعرت بذراع قويةٍ تشدّني وأنفاسٍ لاهبةٍ تكاد تكوي رقبتي وهمسات لاهثةٍ في اذني...

- آه! حبيبتي الصغيرة... كم أحبكِ صغيرتي...

انتفضتُ بغضب وأنا أرتجف، فنهض (فؤاد) وهو مندهش...

- ماذا جرى!

- لاشيء! لكنني لا أريد أن تبقى هنا أرجوك... أنا خائفة!

- هل! هل فعلتُ شيئاً آذاكِ... فاتن!

- لا،لا! أنتَ كنتَ نائماً... ليس ذنبك! لكني... أنا أسفة (بابا فؤاد)... أرجوك ان تذهب! لا اريد قصه... وأخذتُ أبكي، فضمنّي إليه وهو يعتذر مراراً...

- أنا السبب، أكيدٌ أنّه انا... سامحيني صغيرتي... لن ازعجك بعد الان أبداً... أعتذر منكِ...

(وأظنُّ أن عقلي الباطن بسبب ذلك الموقف جعلني أنسى متى وكم كنتُ أحبّ النوم مع (بابا فؤاد) وأنا صغيرة)

كنت في العاشرة حينها، وهكذا، لم أعد أحظى بقصص من (بابا فؤاد) وأصبحت أتحرّج دخول غرفته فأتسلل لأعبث بأغراضه، حتى عثر على اثار جريمتي يوماً ما، فأمسك بي متلبسة بالجرم المشهود وعلم أنني كنتُ أعبث بكتبه الفرنسيه، فعرض عليّ تعلم كلمة واحةٍ كل يوم مقابل قطعة حلوى... وهكذا كان الامر... لم يتحدث معي (فؤاد) عن تلك الليلة التي احتضنني فيها دونما قصد، ولعلّه علم بما فعل، فلاذ بالصمت (محرجاً) من عمله، أو لعلةً لم يعلم... لكنني قصصتُ الامر له ذات يوم ونحن متزوجان، فانفجر بالضحك وضمني إليه وهو يقبّلوجنتّي بسعادةٍ وهتف... (صغيرتي الفاتنه، أحبك!)... كانت تلك الذكريات تنبثق الى مخيلتي، فأذا بذاكرتي تعود بي الى تلك الـ (فاتن) الصغيرة عندما كنتُ أتسلل الى غرفة (فؤاد)، على أطراف أصابع قدميّ... ولعلّ فقداني لابي وأنا طفلةٌ لم أتجاوز (الثامنه) بعد، قد جعلني أهتم بـ (فؤاد) و أتبع خطواته أكثر من أخويه، بسبب حرماني من (حنان) الاب وعطفه... ولأنني وجدتُ في (فؤاد) رجلاً عطوفاً، حنوناً، دافئ القلب... لأنني وجدتهُ يعاملني: كطفلته، فأحببتُ ذلك، وشعرتُ أنّ فيه تعويضاً كبيراً عن ذلك الحرمان المفاجئ في حياتي... فأنا حينما كنتُ في التاسعة من عمري- عندما أخذتني خالتي الى منزلها (رحمها الله)- وعندما كان (فؤاد) يرفعني بذراعيه الى الفضاء كلعبةٍ صغيرة بين ذراعيه، لا أستطيع وصف كمّ السعادةِ الذي تفيض روحي به... إستذكرت كيف تسللتُ الى غرفة (فؤاد) وذهبتُ نحو سريره (ولا أعلم لماذا فعلتُ ذلك)، لأجده نائماً كملاك حطّ من السماء، فبقيتُ واقفةً عند سريره أتأمّل قسمات وجهه الجميلة، عندما فتح عينيه فجأةً ونظر اليّ وهو يبتسم ماذاً ذراعيه باتجاهي، وكان يرتدي قميصاً أبيض قد فُتحت أزراره من أعلى... وهتف بي بصوت حنون:

-صغيرتي (فاتن)! تعالي الى (بابا فؤاد)... هل صالحتيني، وهل سأعود لأقصّ عليك قصص ما قبل النوم!

هززت رأسي دلالة النفي بينما تسمرّت في مكاني لا ألوي على شيء فزمّ (فؤاد) شفتيه وقطّب مابين حاجبيه..

-ما بها (فاتنتي) الأميرة... ماذا يشغل بالك؟

-كنتُ أتأملك فقط يا (بابا فؤاد)! انت جميل جداً!!

ركزّ (فؤاد) نظراته الزرقاء عليّ بعد كلماتي تلك وفجأةً انفجر بالضحك، فنهض بنصف جذعه الطويل ليحملني ويضعني قربه فوق وسادته الوثيره وهو يهتف...

-يا أميرة (فؤاد)! صغيرتي الفاتنه!

-بابا فؤاد!

هتفتُ وأنا سعيدة للغاية كوني أصبحتُ قربه... ضمني بقوةٍ الى صدره وهو يهتف بصوت حنون...

-نعم يا طفلتي، أنا والدك وحاميكِ... لا تخافي من أي شيء... أحبك ياصغيرتي الفاتنه وأشكر الله الف مرةٍ لأنه أرسلك إلينا يا (فاتنتي)...

-بابا فؤاد!

دفنت رأسي فوق صدره وأنا أحاول أن أستردّ طفولتي المغتصبه بموت والديّ، وأنا أحاول أن أسترجع بذلك كلّ حنانٍ أخذته الحياة مني، عندما أخذتْ مني والديّ وأخي الأصغر، فلم يعد لي أهل، سوى عائلة خالتي، أما عمي وزوجُهُ وابنه- فمن الظلم بحالٍ أن أسمّيهم أهلاً أو عائلةً لي!- كانت لحظاتٍ جميلةً لم أستطع أن أنساها وأستذكرت لذّتها وأنا أحتضنُ وسادتي وأهتفُ مرددّة بصوتٍ مسموع...

-(فؤاد)! هل تسمعني يا حبيبي! ليتك تكون هنا معي... وذرفتُ الدموع الحرى...

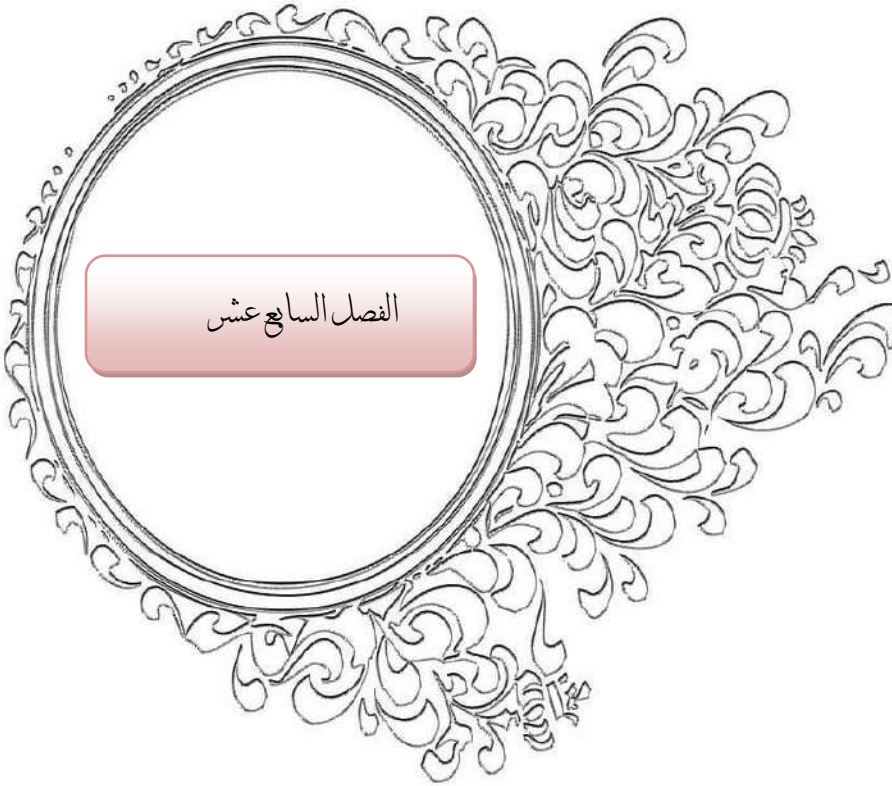
الفصل السابع عشر

كانت (فاتن) قد أقنعت (كاثرين) قبل ذلك، وقبل أن ترحل مع (هاني) عائدة الى واشطن (العاصمه)، بأنّ عليها إنجاب طفل اخر لهاني ليملأ عليهما حياتهما، وبطريقتها الخاصة بالأقناع، فبينما جلست تحدث (كاثرين) حديث امرأةٍ لأخرى وهي تحمل توأمها بين ذراعيها فوق حجرها، لتعطيها إشارات لا واعية بروعة وجود الأطفال في حياتها، فتحت معها موضوع الانجاب ورمت باللوم على (هاني) قائلة:

-لا أصدق انّ (هاني) أناني لهذه الدرجة بحيث أنه لا يقبل أن تنجبي له طفلاً اخر! إنّ الأطفال معجزةٌ إلهية ورغم تعبهم ورغم الأم الولادة والتربية، إلاّ أنهم أجمل مافي هذه الدنيا، وأنا أعيش لأجلهم، لأني أجد لحياتي معنى وهدفاً بوجودهم حولي... فغداً سنهرم و نصبح عاجزين عن لحركة، وحينها، من سيرعانا سواهم! أولا توافقيني يا (كاثرين)! رباه! في البداية، لم أرد هذين الطفلين، وكرهت حياتي حقاً عندما علمتُ بأمر حملي لهما! وكرهتُ نفسي... أنتِ لا تصدقين ذلك! هه!

- لكنْ، لماذا! أولستِ على علاقةٍ مع (أمير)! آه! ياالهي! لا أصدق! آه! فهمت... حسناً! كان الله في عونك حقاً! (قالت ذلك وهي تنظر الى عيني فاتن)...

- نعم! (وطأطأت رأسها بألم، تم استعادت حماسها)... نظرت كاثرين الى (فاتن) بدهشه وثم الى التوأم:

- لكنهما رائعين! إنهما يستحقان كل عناء!

- أوليس كذلك يا كاثرين! نعم! أنا أقول لنفسي ذلك أيضاً! حقاً، هما يستحقان العناء! إنهما معجزةٌ الهية!

وهنا تنهدت كاثرين وهي تضع كوب القهوة على الطاولة بينها وبين (فاتن) ونظرت يمينا وكأنها تفكر في شيء ما، وأطالت النظر بعيداً عن (فاتن) التي نادتها بعد دقيقة...

- هل هنالك شيء يشغل بالك!

وهنا انتبهت (كاثرين) وزفرت وهي تنظر الى التوأم ثم تبتسم لـ (فاتن) قائلة...

- لو انني سأنجب مثل هذين الطفلين الرائعين، فأنا مستعدةٌ لخوض تجربة الولادة مرةً أخرى وليذهب جمال جسدي الى الهاوية!

تمتمت جملتها الأخيرة بصوت خفيض فأبتسمت (فاتن) بأنتضاب كي لا تشعر (كاثرين) أنها قد أصابت هدفها...

بعد مرور شهر واحد، إتصل (هاني) هاتفياً بـ (فاتن) فرفعت سماعة هاتف منزلها وهي مندهشة ...

- ماذا هناك ياهاني! هل انتم بخير!

- نعم، بخير! مابالك! أو لا يجوز لي أن أتصل!؟

- هاني! لقد كنت منقطعاً لسنوات عني! والان لم يمرّ شهر منذ اخر زيارتك، فكيف تريدني أن لا أتعجب وأقلق!! هه، خبرني! هل أنت بخير!!

- عزيزتي (فاتن)! أردت ان أشكرك من كل قلبي! إنّ (كاثرين) حامل! لقد أقنعتها فعلاً مثلما وعدتني!

- ياالله! ألف ألف مبروك وتهانينا القلبية لك (هاني)!

- أتعلمين! سأتي لزيارتك كما اقترح (امير) عليّ، ولكنْ هذه المرّه، سنذهب سويةً في رحلة في سيارتي بين الولايات كما كنا نفعل ونحن شباب عندما كان (فؤاد) يأخذنا في جولات بين الولايات الأميركية! هه! مارأيك بهذه الفكره! سنعيد ذكريات المراهقة!

- هاني! ياالهي! كم أنت ظريف! لقد كبرنا على ذلك!

- أبداً! لم لا يا (فاتن)! علينا أن نصطحب (فرح) و (فارس) ونريهما كيف هي الاواصر العائلية الحقّة! ثم أنني ربما أجلب ابني معي، (جورج)، كي يرى (فارس) و (فرح) ويتعرف عليهما! أو ليسا ابن زابنهة عمه الأكبر! فكري بالامر! سيكون ممتعاً حقاً!

- ماذا عن توأميّ! أين أضعهما في الرحلة!؟

- إرميهما على (امير)! (وانفجر بالضحك)...

ضحكت (فاتن) على الطرف الاخر من الهاتف، وثم ران صمتٌ بينهما قَطَعَهُ صوت (هاني) الحماسيّ وهو يهتف...

- ماذا الان! سوف نعيدُ أمجادنا يا (فاتن)! كنا نغنيّ ونستمتع بمناظر الطبيعة على طول الطريق، وبشطائرك اللذيذة التي تغذينا بها بين الفينة و الأخرى... (فاتن)! إستعدي من الان! أريد أن تطبخي لنا أكلاتٍ عراقية مميزة أستذكر بها (طبخ) (أمي) –رحمها الله- ما رأيك عزيزتي (فاتن)؟!

- آه! هاني! رحمها الله... لقد أعدت لي ذكرياتٍ قديمة... أوه يا هاني، لا أعلم حقاً!

- فكري بالامر... سوف لن تندمي! وداعاً الان...

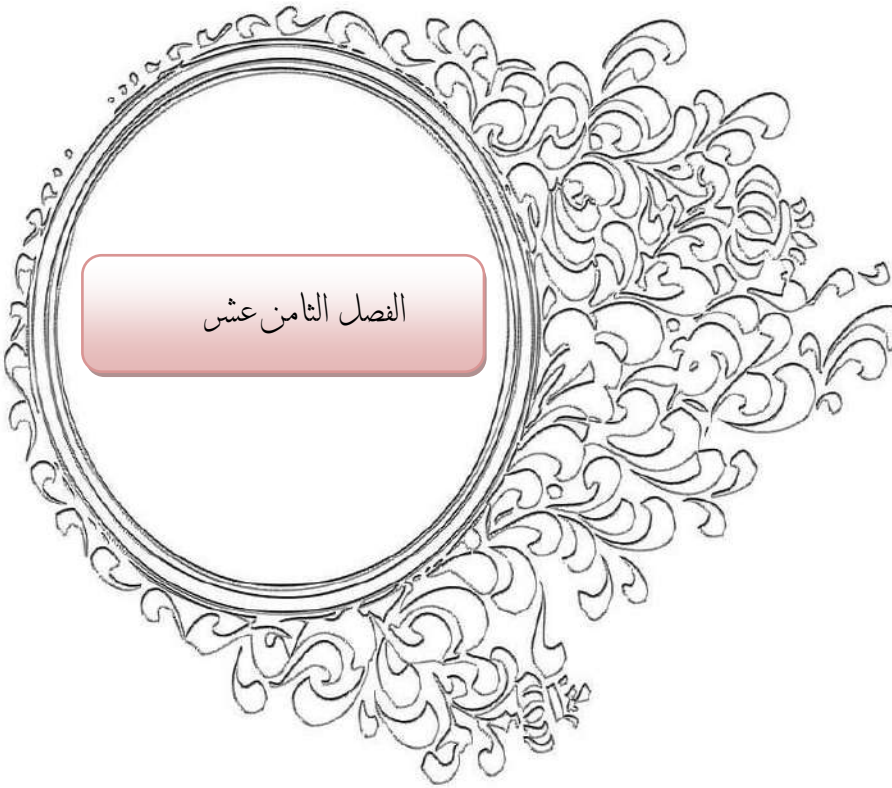
الفصل الثامن عشر

اذكر جيداً كيف كان (فؤاد) يحملني على كتفه وهو يركض بي عبر الحقل لمّا نذهب في نزهة مع العائلة في العطل... لم تكنْ تلك الذكريات تأتني إلاّ كومضاتٍ كل حين وفي كل مكان أو زمان دون أن يكون لها رادع، فلمّا أقفُ مع (فرح) مثلاً وأنا أحمل صغيرتي التي سميتها باسم خالتي (فاطمه)، كنت فجأةً أتخيل خالتي وهي تطعمني كطفلة لم تتعلم كيف تأكل بعد، لمّا جلبتني أول مرةٍ من العراق، و قررت تعويضي عن كل آلامي في منزل عمي... لكنّ الذكرى تنتقل فجأةً لـ (فؤاد) لأنّه محور حياتي كلها ومن كنت أحيا لأجله بعد ربي وخالقي... كانت ذكرياتي تذهب بي فجأةً إليه وهو يضمني الى صدره ونحن جالسان فوق العشب نتأمل منظر الغروب من أعلى ذلك السفح الوسيع، آه، كم كان (فؤاد) شاعرياً، وكم كان عطوفاً، لم أشعر بمقدار شاعريته وإحاطته لكل وجداني ومشاعري حتى غاب عنّي... كان كل شيء بالنسبة لي... كل شيء...

عندما أخذني (هاني) في سيارته مع كاثرين وتركتُ التوأم عند (فرح وفارس) في سيارة (امير)، لنذهب في سفرة بين ولاية كاليفورنيا وولاية (نيفادا)...

أقول، عندما ذهبت مع (هاني) وزوجته، وأنا أنظر جمال المناظر الطبيعية على الطريق، إستذكرتُ تلك الأيام التي كان (فؤاد) يأخذنا بها وهو يسوق السيارة وأمير بجواره وهاني يجلس بجواري على الكرسي الخلفي... كنتُ ألاحظ نظرات (فؤاد) لي عبر مرآة السيارة الأمامي، وأنا ارفع عينّي دون قصد وبدون أن أنظر الى المرآة خوفاً من التقاء عينّي بعينيه... دوماً ما كان ملاكي الحارس، دوماً ما كانت نظراته تلاحقني، مثل قلبه العطوف الذي يحيطني دوماً بحبّه وحنانه...

-حبيبي (فؤاد)!

تمتمت مع نسمات الهواء التي أخذت تعبث بحجابي وهي تمرّ سريعاً فوق تلك السيارة المكشوفة السقف بينما لاحت منّي التفاتةٌ لشعر كاثرين الأشقر الناعم ةهو يتطاير في الهواء وهاني يتحدث مع زوجته أحاديث خاصة بهما، عندما هتف بي الأخير فجأةً...

- هه! ما الأخبار عندك يا فاتن! هل تستمتعين بالجو!

- إنه رائع والمناظر خلابة... ألف شكر لك يا (هاني)!

إقترب (امير) فجأةً بسيارته منا وكان هو وأطفالي على مسافة قريبه دوماً من سيارة (هاني) على الطريق الخارجي لولاية كاليفورنيا والذي كان شبه فارغ ةالسير فيه جدّ مريح للمسافرين... ضغط زرّ المنبّه في السيارة، عدّة مرات بينما صفق (فارس) وصفرّ باستخدام اصبعيه وهو يضحك لي، وكذلك قهقهت (فرح) وهي تحمل التوأم بين ذراعيها وحجابها الفيروزي الطويل يتطاير في الهواء خلفها... إبتسم (امير) لي وهو يضغط مزمار سيارته، عندما هتف (هاني) به أن يُسرع أو أنّه سيسبقه، فتحدى الاثنان بعضهما بين صرخاتنا أ،ا و كاثرين ان لايفعلا وتشجيع (فرح و فارس) لعمهمّا أن يفعل...فجأة تراءى لي (فؤاد) وهو ينظر إليّ عبر المرآة بعينيه الزرقاوين خجلاً ان تلتقي نظراتي بنظراته، فما أن تقع عيناي صدفةً عليهما وهما ترقباني بحذر حتى تتدارك النظرات غايتها وتنكسر... فجأةً انتقلت بي الذكريات الى حيث أخذني (فؤاد) في إحدى المرّات مع هاني وأمير في سفرات متتالية حتى وصلنا نيويورك!...

ذهبنا على طول تلك الولايات من أقصى الغرب الى الشرق! كنا بين كل مسافةٍ نستأجر نزلاً وعندما نصل الى المدن نستأجر جناحاً في فندق فخم... يضعونني في غرفةٍ مفردة لي بسرير واسع بينما ينام المساكين الثلاث على الارانك!!... كم عاملوني معاملةً راقيه، وكأنني (أميرةٌ) حقاً!... إستذكرتُ تلك الرحلة الطويلة التي كانت أشبه بمغارةٍ لنا نحن الأربعه، سويةً... خضنا فيها مختلف التجارب، وشاهدنا الكثير من المناظر الطبيعية الخلاّبة وتعرفنا على أناس كثر وتشاركنا الكثير من المغامرات... كنتُ على علاقةٍقوية (كأخت) بـ (هاني)، أكثر مما كنتُ عليه مع (أمير) أو (فؤاد)، فقد كان (هاني) يتصرف على سجيته معي، ويتحدث وكأنني أختٌ فعلية له، يشورني ويسألني عن أناقته ورأيي في شراء هذا الغرض أو ذاك، بل وحتى رأيي في جمال هذه الفتاة او تلك وهو ينظر إلى الفتيات لمّا نجلس في مطعم أو في السوق... فبكل بساطةٍ وبراءة، يسألني (هاني) وهو يغمز لي بعينه اليمنى (أغلب الأحيان)...

-ما رأيك بهذه! أليست جميلة!

كنتُ أكتفي بالابتسام له، وأحياناً أضربه برفقٍ على كتف... وأحياناً أخرى، كنت بالفعل أشاركه رأيي فأقول له، هذه جميلة حقاً، لكنني لم أتحدث بسوءٍ يوماً ما عن أيه فتاةٍ، غير نصيحة (هاني) أن يترك هذه او تلك ممن كنت أراهن غير محتشمات أو (لعوبات)، وغير مهذبات... كما وأنّ (هاني) لم يك يتورع عن ترديد الأغاني والرقص أمامي، فأظلّ أضحك عليه... أحببته كأخٍ فعليّ... ولعليّوجدتُ فيه (عوضاً) عن أخي الذي مات منذ زمنٍ بعيد... أما (فؤاد) و (أمير) فقد كانا كتوأم واحد، يتساران ويتشاوران ونحن قريبهما دون أن نسمع شيئاً – أعني أنا و (هاني)، وكنّا نبتسم في أغلب الأحيان (أنا وهاني) لمّا نراهما منهمكين في سرّ خفي، ينظران الى فتاةٍ ما، ويتهامسان، ويتعمد (هاني) أن يلكزني في ذراعي كي أنتبه عليهما... آه، كم كانا متشابهين في الملامح، غير أنّ لون شعرهما وعينيهما مختلف، وفارق السنّ، هي الأشياء التي تجعلهما مختلفين لمن ينظر اليهما... حتى أنّ (امير) كان دوماً ما يرتدي نفس ثياب (فؤاد) وله نفس ذوقه في الطعام، والأحذية كذلك، وأيضاً في (النساء)!!

رباه، لمّا كان (أمير) ينظر إليّ، كم يذكرني بفؤاد! فهو في نفس طوله، عكس (هاني) الذي يقصر عنهما قليلاً... وله نفس تلكما الوجنتين الغائرتين والانف المستدق فوق تلكما الشفتين المرسومتين بعناية أعلى ذقن مربع الشكل فيه غمازةٌ في الوسط...

كان (فؤاد)، يحميني حتى من أخويه، فعند ما يضايقني (هاني) كثيراً بمزاجه، أو يزعجني (امير) بحركاته أحياناً، ورغم أن (فؤادي) قليل الكلام كثيراً، إلا وانه وبكلمةٍ واحدةٍ منه أو نظرة من عينيه، يجعلهما يخرسان عن الكلام، وكأنّ على رأسهما الطير...

ولذلك فأنَّ (فؤاداً) لم يستطع أخذي في نزهةٍ فردنا إلاّ تلك التي أخذني فيها يوم اعترف لي بحبّه، لخوف عليّ...

-كانت ذكرياترائعة يا (هاني)... أتذكر مغامراتنا مع (فؤاد) عندما ذهبنا بين الولايات الاميركيه...

- نعم! أتذكر ذلك جيداً وكأنه بالأمس...

تحادث الأخوان بينما كنا مجتمعين في مطعم حول المائدة نتناول طعام العشاء قبل أن تخلد الى النوم في فندق حجز (امير) و (هاني) لنا فيه جناحاً كاملاً للمست...

- هاني! أذكر عندما ذهبنا آخر شيء إلى واشنطن على الطريق السريع (آي ٨٠ إسيت)، كان طريقاً طويلاً توقفنا في مختلف الأماكن واستمتعنا بوقتنا بمشاهدة المناظر الطبيعية، ومررنا عبر الولايات في طريقنا الى واشطن، كأجمل رحلةٍ خضناها مطلقاً في حياتنا... لم تتكرر بعد ذلك فقد صرفنا نقود والدي كلها، علاوةً على كل ما ادخرناه من نقود أنا وفؤاد! (وقهقه بصوتٍ عالٍ) ....

وأعتقد أنني بقيتُ احبّ التجوال البري منذ تلك الرحلات، فلطالما أذهب الى لوس أنجلس حيث نقلتُ عملي ورغم بعد المسافة حوالي ٥ ساعات و٥٠ دقيقةٍ أقضيها في السيارة وانا اسوق على الطريق السريع آي (ساوث ٥)، لكنني أستمتع بالمشاهد الخلابة، وأظلّ أفكر وأرمي أفكاري السلبية على طول الطريق، وأشعر بالتجدد...

إبتسم (أمير) وهو يقول جملته الاخيره، ناظراً إليّ عن قصد، فابتسمت باقتضاب وأنا أشعر بقلبي يعتصر بشكل فجائي...

- مابك يافاتن!

هتف (أمير) فنظرتُ اليه بألم وصغيري (فؤاد) فوق حجري بينما توأمه (فاطمه) فوق حجر (امير)...

- (أمير)... أشعر اني لستُ بخير...

- مابك (فاتنتي) الغالية! مابك عزيزتي! ربّاه! هرع (أمير) نحوي، واضعاً طفلته في حجر (فرح) بينما شعرتُ أن الطاولة تهتز أسفل مني وتميل عندما وقعتُ أنا على الأرض من فوق كرسي الطعام حيث جلست، بعد أن أصبتُ بدوار شديد في رأسي... عندما نهضت من غيبوبتي، ذُهلتُ لما رأيت... صعقتُ في الحقيقة ولم أعد أعرف هل كنتُ في حلم أم واقع...

- (فاتن) حبيبتي... هل أنتِ بخير!

كان صوته هو... كان وجهه هو وكانت تلكما عينيه! هو، هو! كنتُ في غرفتي، في منزلي، (متى عدتُ وكيف!)...

الفصل التاسع عشر

- هل أنا في حلم، أم أنا في الجنه! هل أنتَ (فؤادي)!

- يا فؤاد (فؤادي)!

ضم يديذ بأنامله يقبلهما بشغفٍ ولهفه ويمرغ وجهه بهما... رفع عينيه الرائعتين نحوي بحنان وهو يهتف...

- وكأنما أعلمك قلبكِ بوجودي! لقد عدتُ ياحبيبتي! عدتُ فلم أجد أحداً... جنّ جنوني... أين زوجتي، أين ابنتي؟ أين ولدي؟ لقد عدتُ ياحبيبتي، لكنني لم أكن أستطيع التأكد من عثوري على المنزل الذي بحثت عنهُ، إلاّ بعودتكم، لقد تفاجأتُ وأنا أجلس خارج المنزل بصراخ ابنتي الغاليه وهي تركض باتجاهي... وقف (فارس) الحبيب لا يلوي على شيء عندما سرتُ أنا باتجاهه واحتضنته فانتحب مثل الأطفال وبكينا سويةً... حبيبتي... أنا لم أمت... لم أمت!

- رباه!

شهقتُ غير مصدقةٍ ماأسمعه... شددتُ يديه باتجاهي لأقبلهما بجنون فاحتضنني وضمني إليه وهو يضع رأسه فوق صدري بينما قلبي يخفق بسعادة...

- كنتُ أعلم أنك لم تمت! لقد شعرتُ بذلك بكلّ كياني ولم أصدق أنك غير موجود...كنتُ أحيا على ذكراك، وكنتَ تعيش معي كل لحظه، كل ليلة، كل يوم، كنا سويةً... حبيبي! لماذا تركتني!

وبدأت أبكي بجنون فرفع (فؤادي) رأسه من فوق صدري وأبعد ذراعيه عن جذعي ومسح دموعي بأنامله المستدقة وهو يهمس لي بصوته الحنون...

- سامحيني ياحبيبتي! كان خطئ منذ البدايه، لأجل علاوةٍ وترفيع، إتخذتُ درباً غير صائب... دفعتُ ثمنه عمراً كاملاً! كم مرّ على فقداني... خمس سنوات! أكثر... لاأعرف... كنتُ فاقداً للذاكرة، عشتُ في ساكرامنتو، وقد عثر عليّ رجلٌ طيب بعد أن سقطت من أعلى الجسر الذهبي بعد تلك المطاردة الرهيبة في تلك الليله... يااللهي، أنتِ ربما لاتعلمين، أم لعلكِ تعلمين ماذا حدث! هل عرفتِ من الصحف أنّ زوج (جوليا) كان يتابعنا، فدخلكِ الشكّ أني كنتُ أخونك؟... هل ذلك ما تبادر الى ذهنك غاليتي الفاتنه؟

قال (فؤاد) ذلك وهو ينظر إليّ بحزن وألم... تنهدت:

- حبيبي! لم يعد الأمر مهماً! لا أبالي، أن كنتَ كذلك ام لا ... المهم أنك بجواري... أنا لا أصدق!

- كلا يا فاتن! عليكِ أن تعرفيني... أن تعرفي أمراً واحداً... صحيحٌ انني كنتُ طائشاً ولي علاقات كثيرة قبلك... صحيح ذلك، وليست كلها علاقات محرمه، لا، حاشالله... كنتُ أتزوج زواجاً مؤقتاً وأنفصل عنهنّ، لكنّ، ما أن أحببتك، أغلقتُ قلبي عليكِ ولم ولن أحبّ سواكِ ولن أعطي قلبي لغيرك...

- فؤادي! ياحبيبي الغالي... أنا أفديك بعمري...

- فاتنتي! صدقيني... لقد أغرتني بمنصب أعلى بمساعدة صديقها، وهو مسؤولي، ولذلك ذهبتُ لمقابلتها... حاولت إغوائي مرتين... لكنني لم أعر لها بالاً ولم أهتم لها، قبّلتها عند الباب كصديقةٍ من خديّها، امّا حاولت تقبيلي لأبعدها عنّي، ودلفتُ الى منزلها ليلة الحادثة... حاولتْ مرةً ثانيةً أن تغويني، لكنني ردعتها... لم أكن أعلم أنّ زوجها قد وضع كاميرا مراقبة في المنزل، فجاءني على عجل، ولذلك هربنا، لأنه هددها هاتفياً...(فاتن)! أنتِ كنتِ تتابعيني! لقد عثرتُ على جهاز تنصت في ثيابي، ولقد رأيتِ وسمعتِ ماجرى بيني وبين جوليا!

- حبيبي! أرجوكَ! كفى، لا أريد تبريراً... أنا...

- أنا آسفٌ يا (فاتن)... سامحيني، لأنني وبسبب ذهابي لها، خسرتُ سنواتٍ من حياتنا سويةً! كادت أسماك القرش قرب الكاترز أن تلتهمني حياً، ولستُ أدري كيف أنقذني ذلك الصياد، وقد أخبرني أنه من (رصيف ٣٩)- (بيير ٣٩)... وأنهُ يعمل هناك، لكنني كنتُ قد فقدتُ ذاكرتي لسقوطي من أعلى الجسر وارتطامي بزجاج سيارتي الذي تحطم برأسي قبل أن أسقط... لا أعرف كيف استعدتُ ذاكرتي، لكنني بقيتُ لسنوات أعمل في الرصيف مع ذلك الصياد وأذهب بعد ذلك لأنام في غرفةٍ صغيرة في حظيرة حيوانات مرفقة لمنزله، لأعيش عيشة الفقراء وأخذتُ أمارس طقوس المسيحين الكاثوليك، ولقد أسماني (جيكوب)، لأنه شبّهني بوسامة النبي (يوسف)، وقال لي إنّ ذلك الاسم يليق بي... أعجبت بي ابنته، وأراد أن يزوجني إياها، وهي جميلةٌ حقاً... لكنّ قلبي كان مغلقاً، حزيناً، وكأنني أعرف أنّ هناك من يبكيني... كنتِ أنتِ من أراها في أحلامي دون أن أعرف من تكونين... أحلام وكوابيس تأتيني كل ليلة... كانت عيناك دوماً ووجهك الجميل، يتراءيان لي ... وكأنّ روحاً تناديني كل مساء... أوَ يوجد هكذا شيء يا حبيبتي! هل كنتِ تناديننني! فعلاً كنتُ أشعر بذلك!

- رباه! كل مساء، وكلّ ليله... أحتضن وسادتك، وأناديك وكأنك معي... حبيبي.. كيف لي أن أنساك! لكنْ، قل لي، هل أنت حقيقي! انا لا أصدق!

- حبيبة قلبي! ياالهي... فاتن! سامحيني! (وبكى) وأخذ يقبّل وجنتيّ ويمرغ وجهه بهما، عندما دلفت (فرح) غرفتنا يتبعها (فارس) وشاهدانا نبكي سويةً ونحن نحتضن بعضنا فصاحا بسعادة...

- الحمد لله يا أماه على سلامتك!

هرع الاثنان إلينا وضممناهما معنا ونحن نضحك ونبكي في آنٍ معا...

سألت (فرح) فجأةً..

- لكنْ، ماذا جرى لي!

- ماما! لقد فقدتِ وعيك فجأة، واضطررنا لنقلك الى المشفى ولغينا سفرتنا، وعُدنا بك بعد ذلك الى المنزل... الحمد لله أننا لم نبلغ ربع الطريق إلى ولاية (بنفادا)، وكنا في بداية الدرب، ولذلك عدنا لأنّ الطبيب الذي أشرف على علاجك، وبعد أن شرح عمي (أمير) حالتك له، أخبره أنّك مصابةٌ بشدٍ عصبي وعلينا عدم تعريضكِ لأي إثارةٍ عصبية من أي نوع... لابدّ وأنك طوال الدرب، كنتِ تفكرين بأبي وتتألمين وتقرّعين نفسك وتتوالى ذكرياتك عن والدي، خصوصاً وأنّ عمي أخذا يحدثانكِ عن ذكرياتكم القديمه، وذلك ماأدى بكِ إلى فقدان وعيك فجأة ودون سابق نقدمات!

- أمي!! أمي! أمي! (إنفجر ضاحكاً)

صاح فارس فجأة وهتف وهو يغمز والده ويبتسم لفرح...

- أو تعرفُ ياأبي كم مرّةً غابت عن الوعي منذ فقدناك حتى هذه اللحظة! رحماك بنا، أعد لها وعيها!

وهنا انفجرنا بالضحك كلنا، وشعرتُ بقلبي يخفق بسعادة كبيرةٍ وأخذت أشكر الله في سرّي بينما أشبعتني (فرح) قبلاً وأخذ (فارس) يقبّل يديّ حبّاً وفؤاد يضمني إلى صدره الحنون، وهو ينظر اليّ نظراته الرائعه...

بعد دقائق، طرق باب غرفتنا ودلف من خلفه (أمير) يحمل طفليه بين ذراعيه، فضاقت عينا (فؤاد) اللتين كنتُ متعلقةً باهدابهما، وشعرتُ أنّه قد فهم كلّ شيء بذكائهِ وفطنته دون أن يشرح له أحدٌ شيئاً...

- أخي الغالي... حمداً لله على سلامتك... حمداً لله على سلامتكِ يا (فاتن)!

هتف (أمير) بصوتٍ خجول واهٍ وهو ينظر إلى أخيه نظراتٍ منكسرة بينما (فؤاد) يبادله نظرات واثقة ثائرة كنظرات أسدٍ على وشك الهجوم على ضبعٍ حاول اقتحام مملكته...

- أخي الغالي... كنتُ أودّ أن أعرفّك بطفليّ... فؤاد وفاطمه... لايزالان صغيرين، للتو يحبوان وعلى وشك السير على قدميهما...

- نعم، نعم... لقد رأيتهما... مباركٌ لك... ومن والدتهما يا ترى! لو أمكنني السؤال!

هتف (فؤاد) عندما نظر (فارس) الى (فرح) وبادلته فرح نظراتٍ خاصة وأسرعا بالأستئذان للخروج من الغرفة، وقبل أن يخرجا، أخذا أخويهما من بين ذراعي (أمير)، وأغلقا الباب وعندها وثب (فؤاد) بسرعة ليمسك (امير) من تلابيبه ويثبتّه على الجدار مقابل سريري حيث كنت مستلقيه... وقال له وهو يزمجر ويصرّ على أسنانه...

- كيف تسنىّ لك أيها الوضيع! هل ظننتني من!

- فؤاد! فؤاد... أرجوك! أنا... إفعل ماشئت بي، أنا استحق ذلك! أنا لن أقاومك... ولن أضربك، حتى لو قتلتني ضرباً، سأكون طوع أمرك... أنا أستحق... أستحق ذلك، لكنْ... يجب عليك أن تعرف... لقد عرضتُ عليها الزواج مرتين... ولم تجبني أول مرة، ثم واجهتني بالرفض في الثانية...لقد أحببتها من كل قلبي... أحببتها، ولاأزال أحبها!

لانت قبضة (فؤاد) عند كلمات أمير الاخيره بينما آستمرّ هو بالكلام وهو يلهث وأنفاسهُ تتقطع وعيناه تدمعان...

- ثمّ لا تنسى أنني كنتُ زوجاً لها ، وكان بأمكاني أن أفعل مايفعله الزوج مع زوجته ، لكنْ... ولأنني أحبك وأحبُّها، ذهبتُ إليك وطلقتها وقدمتها لك طبقاً سائغاً مع العلم أني كنتُ أستطيع أن لاأفعل ذلك... (فؤاد) أنا لستُ وضيعاً ولقد صنتُ أسرتك وحاولتُ قدر الإمكان مساعدتهم مادياً ومعنوياً...(فاتن) كانت في حالةٍ مادية سيئة للغاية، ولقد وقفت معها، ويمكنك سؤالها... لاأقول ذلك لأتباهى أمامك، كلا!... لكنني بشرٌ يا (فؤاد)... بشر... من كان يدري أنك حي... كلنا ظننا ظناً أقرب لليقين، أنك مت ياأخي! ولولا رفضها هي لي، لكانت زوجتي الآن! لكنها لمْ ولن تفكر بسواك! هنيئاً لك ... أنت وغدٌ محظوظ!

- أعرب عن وجهي يا (أمير)! لاأستطيع تخيل أنك... أنك قد لمستها! إبتعد عن وجهي... وليس هذا فحسب ... بل رغماً عنها! اليس كذلك!

- فؤاد! أرجوك أن تضربني! لا تتركني هكذا!

- إذهب! لن أفعل هذا!

- فؤاد! لا...لا... هل ستتركني هكذا... (وبكى بقوة)

- أرجوكما كفى! كفى! أنتما أخوان!

صرخت بهما بينما (أمير) يبكي وهو يشدذ (فؤاد) إليه كي يضربه، وعينا فؤاد تقدحان شراراً...

- أرجوكما! كفى.. هل ترضى خالتي بما يحدث!!

حاولت النهوض من سريري بسرعه لأوقف تلك (المهزلة) ولم أعرف أبداً انني أصبحت بهذا الضعف بحيث لم تستطع قدماي حملي فبينما أنا انظر اليهما مسرعةً كي أوقف عراكهما، إذا بلارض تدور تحتي من جديد، وأسقط بسرعةٍ على الأرض، ولا أسمع قبل سقوطي سوى صوتيهما وهما يصرخان باسمي..

عندما نهضتُ من غيبوبتي وجدتُ نفسي في المشفى من جديد، شعرت أنّ هناك أنابيب كثيرة مشدودة الى ذراعيّ... أنبوبة طويلة معلقة بقنينة بيضاء تتدلى من أعلى حمالةٍ صُنعت من الالمنيوم على يساري بينما أنبوبةٌ طويلة أخرى قد امتدت حتى كيس أحمر اللون عُلّقَ على حمالةٍ أخرى عن يميني... أقتربتْ ممرضةٌ مني عندما وجدتني قد استعدت وعي فتهتفتْ:

- حسنٌ! لقد افقتِ... أرجوكِ! تعليمات الطبيب صارمه... لا يجوز لك أن تُثاري أية اثارةٍ عصبية... الزيارات ممنوعة حتى تستعيدي صحتك، لأنك سوف تثارين عصبياً عند زيارة أهلك... هم جميعاً في انتظارك، لكنّ الطبيب شددّ على عدم لقائهم إلاّ إذا لم تثاري عصبياً، ولذلك عليكِ الاسترخاء... سأعطيك أبرة منوم تهدؤك حتى الصباح...

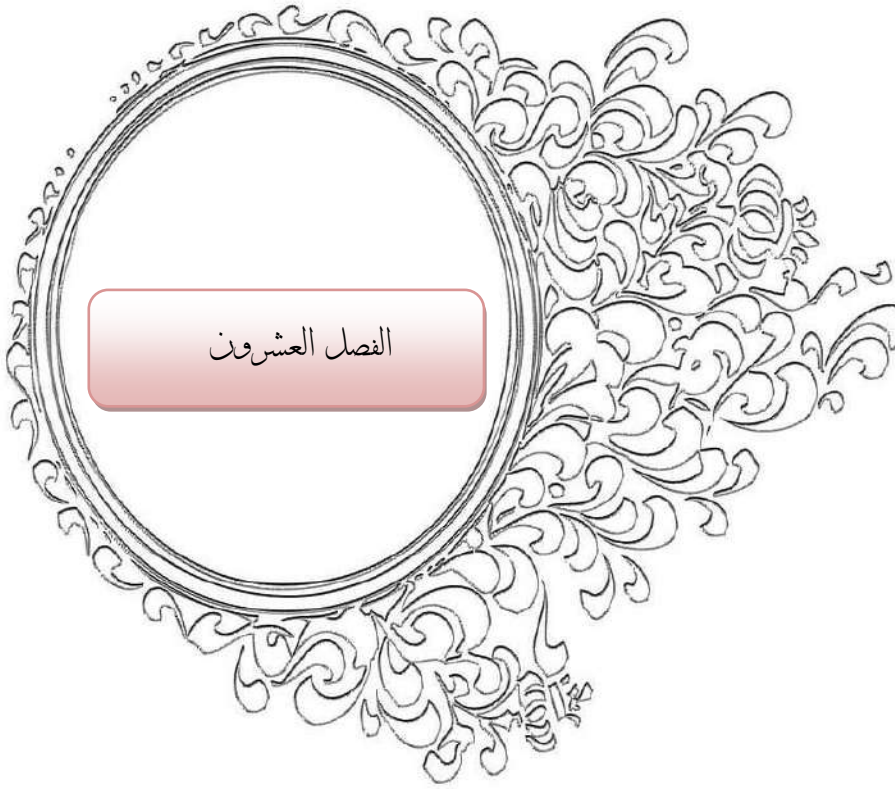
الفصل العشرون

- حبيبتي! هل أنت بخير (فاتنتي)!

هتف (فؤاد) بينما (فاتن) بين ذراعيه وقد وضعتْ رأسها فوق صدره وهما جاثيان فوق العشب في (مكان فؤاد السري) وسط الطبيعة حيث أخذها ذات مَرّةٍ يوم أخبرها بمرضه وطلب منها أن تتركه إنْ أحبّت ذلك... رفعت (فاتن) عينيها السوداوين وهما يتلونان بزرقة السماء فأصبح لونهما أسود مزرقاً أو أزرق داكنا، أو لعلّه انعكاس لوني تلكما العينين اللتين أحبتهما وهما تنظران إليها وقد مال (فؤاد) برأسه نحو زوجته حدثها بينما أعتدل جالساً، فنظرت (فاتن) إليه بسعادة و أمسكت بأنمل يديه تقبلهّما وهي تقول:

- حبيبي الغالي... أنا بخير، مادمتُ معك...

- مادمتِ مع هذا الكهل الخَمْسّيني! أليس كذلك...

- لاتزال في نظري نفس ذاك الـ فؤاد) الحبيب! ولن نكبر أو نهرم أبداً.. روحك هي من أعشق يا (فؤادي)، ومهما كبرنا فلا يهمّ ذلك مادمنا معاً...

- فاتنتي الغالية...

ضم (فؤاد) فاتن الى صدره بقوةٍ أكبر ورفع ربطة شعرها عن رأسها ليقبّل خصلاتِ شعرها السوداء...

- هل سأجد في هذا العالم مثل فاتنتي! أبداً ...

- وكذلك لن أجد أنا مثل (فؤادي) ... حمداً لله أن جمعنا معاً مرةً أخرى ولم يحرمني منك في دنياي أيها الغالي... أنت أبي وزوجي وصديقي وأخي...لاعدمني الله إياك أيها الغالي... أحبك يا (فؤادي) ...

ودفنت رأسها فوق صدره بعد أن قبّلت عنقه وأغمضت عينيها وهي تدعو الله أن لا يحرمها تلك السعادة مجدداً...

- حبي لك ، مجردٌعن الجسد، مجردٌ عن كل مادة...

أحبك لأنك انت (فؤاد)، لأنك من رعاني وأحبني، وحنا عليّ في يتمي وعرف كل عيوبي وخصالي... أحبك!

- حبيبتي (الفاتنه)... لا حرمني الله منكِ يا غاليتي...

- إنّ هذه حنتي في الدنيا... أنتَ يا فؤاد جنتي التي وهبني الله إياها في دنياي هذه... لا أريد شيئاً من الله بعدك أبداً أيها الحبيب... رباه! أنت لا تدري كم تعذبت بغيابك وفراقك وكم تمنيتُ الموت ألف مره...

- أعلم يا غاليتي! أعلم ... لاتستذكري الماضي الأليم... دعينا نستمتع بلحظاتنا هذه، فهي لن تعود...

- نعم! دعني أغفو هنا على صدرك... أحبك...

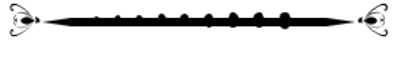

- حبيبتي الصغيرة... فاتنتي... أحبيني إلى الأبد...فأنا بدونك لن أعيش أبداً ولا أقوى على العيش بعد حبك هذا أبداً، فأنتِ قد أعطيتني أجمل واروع ما يتمناه الرجل، قلباً عطوفاً مخلصاً وحباً لا يتغير مهما عصفت ظروف الحياة سفينة زواجنا يا غاليتي... أحبك يا صغيرتي التي كنتُ اقرأ لها قصصاً كي تنام وهي خائفةٌ كهرةٍ صغيرة لما جئتِ إلينا من أقصى الأرض، أيتها الحبيبة القريبة، لا حرمني الله حبّك أبداً، وحفظ الله لنا أسرتنا وأطفالنا سوية... (فرح) وفارس وأخاهما وأختهما التوأم، ابني اخي... حفظهم الله لنا...

- حبيبي ... حفظك الله لي ولنا جميعاً...

قالت (فاتن) ذلك وهي تحيط رقبة زوجها بذراعيها ورأسها فوق صدره بينما أحاط هو خاصرتها بذراعيه... نظر (فؤاد) الى (فاتن) بحنو كبير وضمها إليه بقوة...

رفعت (فاتن) رأسها نحو فؤاد وابتسمت:

- أنتَ... يا حبيبي (فؤاد)، لا حرمني الله منك...

- الله عليكِ يا فاتن!

- حبيبتي... لا تبتعد عني بعد هذا أبداً... كنتُ ميتةً دونك...

- ماذا تفعلين بعجوز مريض مثلي، لماذا تحبيبنني يا (فاتن)! لقد أخذ المرض يأكل جسدي وينخر عظامي... أنا عجوز مريض، وأنتِ الآن في قمة أنوثتك واكتمال نضجك... هل ينفعك هذا العجوز... نظرت (فاتن) إلى (فؤاد) بعتاب وشددّت لفّ ذراعيها حول رقبة زوجها وهتفت بدلال:

- لأني أحبك... أحبك... أنت جنتّي... أنت يا فؤاد، (وهمتت قليلاً ثم أخذت تترنم)... (فؤادي)!

- حبيبتي! الله عليكِ ... هل أتمنى من الله سواكِ... أبداً يا حبيبتي... فليحفظكِ الله لي...

واحتضنا بعضهما بقوة وقد اتحدّت روحهما اتحاداً مطلقاً وانصهرتا في بوتقةٍ واحده لا يمكن لأحدٍ أن يفرقهما ابداً او يبعدهما عنها ليصبحا كياناً منفصلاً عن بعضهما البعض...

(الخاتمه)

عندما تدْخل منزلُ (فؤاد) و (فاتن)، سترى (أمير) جالساً بين طفليه التوأم وهما يحتضنانه عن يمينه وعن يساره، بينما (فرح) تقدم (الشاي) لعمها ووالدها الذي جلس بجواره (فارس) وقد لفّ ذراعه اليسرى حول عنق والدته، (فاتن)، التي كانت ترتشف الشاي وتبتسم وهي تنظر إلى أطفالها بسعادة...

عاد (فؤاد) إلى عمله وعادت كذلك (فاتن) معه، وسكن (أمير) معهما ومع طفليه التوأم، وظلّ (هاني) يتردد مع ابنه البكر أخيه الأكبر، حيث بدأت قصة حبّ جديدة تنمو بين ابنه و (فرح)، تكللت بالزواج، شرط واحد من (فاتن) ألا وهو أن تعيش (فرح) وابن هاني قريباً منها، وكان لها ذلك، بعد أن نقل (هاني) عمل ولده كمهندس مثله إلى ولاية سان فرانسسكو مسقط رأسه، وحيث تسكن (فاتن) و (فؤاد) كي لا يضطر إلى ترك (فرح) والسفر بعيداً ، وبذلك تمتّ فرحة (فاتن) و (فؤاد) بسعادة ابنتهما البكر الاثيرة عند جميع أفراد أسرتها...

أما (فارس) ، فقد أعاد الزمان حادثاً جميلاً مرّ على أبيه ذات مرّة لمّا حمل (فاتن) بين ذراعيه ورفعها الى الفضاء، وكذلك حصل مع (الأبن) الذي (انفصلت) زوجة عّمه (هاني) عنه، وتركت له ابنته الصغيرة بلا رعاية، لأجل العناية بفنّها ومتابعه حياتها، بعد أن وصلت علاقتهما الى مفرق الطرق، وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير هي زواج ابنها البكر من (فرح) ونقلُ عمله الى ولاية بعيدةٍ عن الأم رغماً عنها، فأدى ذلك إلى تهديدها لهاني برفع قضية طلاق، لم يرضخ فيها (هاني) ولم يبالي بترك عمله عند أبيها وتطليقها كما أرادت هي ليعود بابنه إلى أحضان أسرته، حيث سكن مع ولده البكر وفرح معززاً مكرماً، بينما أخذ (فارس) يرعى طفلته الصغيرة وكأنما طفلته، ولا يرضى لعمّه بجلب مربيةٍ لها، مطلقاً، لأنه كان يجالسها بنفسه وقت غياب أخته وزوجها في الدوام، أو عمه، ولقد كان (فؤاد) يبتسم في أغلب الأحيان ابتسامةً لا يفهمها أحدٌ سوى (فاتن) التي تبادله نظرات السعادة، وهي تفهم نظراته لولده (فارس) عندما يراه يلاعب ابنة عمه أو يُطعمها...

وهكذا، مرّت الأيام والسنوات كأجمل ماتكون، على تلك العائلة التي عادت إلى أحضان بعضها البعض مثلما يعود الماء الى مجرى النهر ... وكانوا كل مساء يجتمعون سوية، أولئك الاخوة الثلاث مع (فاتن) كما لو كانوا مراهقين، في منزل والديهم، وكأنّما لم تمرّ كلّ تلك السنوات، ولم يخطّ الشيب خطوطه فوق رؤوسهم... كانوا يضحكون ويتبادلون النكات، وأطراف الحديث ويخرجون أحياناً الى مطعم ما سويةً أو دار اوبرا أو إلى متنزّه برفقةِ الأولاد...

وكلما كبر (فؤاد)، وزاد مرضه، كلّما كانت (فاتن) ترعاه أكثر حتى لا يؤثر مرضه عليه... وبوجود (فاتن) قربه، ورعاية أخويه له، كلّما شعر بتدهور في صحته، كان (فؤاد) يشعر بالرضا التام رغم إصابته بتورم الساقين وعدم قدرته على السير واضطراره للرقود في المنزل، الأمر الذي دفع (فاتن) لترك زظيفتها مرةً أخرى كي تُعنى به، ولكنْ ليس بمفردها هذه المرة، بل بمساعدة (أمير) الذي لم يتركهما أبداً، حتى عاد (فؤاد) للتشافي مرةً أخرى...

كان لمرض (فؤاد) ذاك الأثر الأكبر في تقوية العلائق بينه وبين (أمير) مرةً أخرى ليعودا كما كانا أيام الشباب وأكثر من ذلك ... لا توجد حقاً سعادةٌ كاملة ولاتعاسةٌ تامه، ففي هذه الحياة، يمرّ الانسان بكلا الظرفين في كل حين وكل زمن، والمهمّ هو أن يعرف الانسان كيف يعيش بقلب راض حتى عند وجود الصعاب، لأنها سوف تمضي مثلما تمرّ أيام السعادة من بين أيدينا ... وهكذاً، لا أقول، عاش الجميع بسعادةٍ الى الابد، لكن أقول: وهكذا عاش الجميع كما يعيش الناس الى الأبد...

الإهداء ٤

الفصل الاول..... ٦

الفصل الثاني..... ١٣

الفصل الثالث 15

الفصل الرابع..... ١٨

الفصل الخامس ٢٧

الفصل السادس ٣٤

الفصل السابع ٣٨

الفصل الثامن ..... ٤٢.

الفصل التاسع ٥٢

الفصل العاشر ٥٦

الفصل الحادي عشر ٥٩

الفصل الثاني عشر ٦٦

الفصل الثالث عشر ٦٩

الفصل الرابع عشر ٧٨

الفصل الخامس عشر ٨٢

الفصل السادس عشر ٨٩

الفصل السابع عشر ٩٢

الفصل الثامن عشر ٩٥

الفصل التاسع عشر ٩٩

الفصل العاشر عشر ١٠٤

الخاتمة ١٠٦